الدين . والشرف . والمروءة
في حسِّ الملك عبد العزيز رحمه الله

إعداد
د/ عوض بن أحمد بن سلطان الشهري
أستاذ مساعد بكلية الحديث والدراسات الإسلامية
بالجامعة الإسلامية

المقدمة

الحمد لله القائل في محكم كتابه {...وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}[١] والقائل: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}[٢].

والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله، بلغ الرّسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، القائل وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى: "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما؛ كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض"[٣].

أما بعد فإن المسألة التاريخية - وهي إحدى المسائل الأساسية في حياة البشرية - كانت محل عناية نصوص الكتاب والسنة، فكثير من تلك النصوص عَرَضَ وقائع تاريخية، وأشار إلى أحداث وقصص، وأكد على سنن الله التي تتشكل بموجبها حركة التاريخ، ولاشك أن المسلمين اليوم في أمس الحاجة إلى نوع من الدراسات التاريخية المنبثقة من تاريخ أمتنا الإسلامية لعل ذلك يكون أحد الأسباب المهمة التي تعيد لأمتنا ثقتها بنفسها، وتنير لها طريق الحياة الكريمة الرائدة التي أرادها الله لها، متجاوزة أكبر قدر ممكن من العقبات والأخطاء مستفيدة من حركة التاريخ الملأى بالعبر، والعظات.

إن نصوص الوحيين قد نبهتنا كثيراً إلى أخذ العبر والعظات من تاريخ الأمم وقصصها {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}[٤].

{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[٥].

{...ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[٦].

ومن هنا جاء اهتمام علماء المسلمين بتدوين تاريخهم بشكل لم يُسبقوا إليه ليكون سجلا حافلاً للأحداث والسير، ووسيلة مهمة للدراسة والتحليل تستخلص منه العبر والعظات.

قام علماء المسلمين بتلك المهمة وفق مقاييس ومناهج قائمة على أسس إيمانية وعلمية مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[٧].

واقتداءً بعلمائنا الأجلاء جاءت رغبتي في التأكيد على صفحة ناصعة من صفحات تاريخنا الإسلامي وهو الصفحة المتعلقة بشخص الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله راجياً أن أكون بهذا العمل قد حركت في وجدان كل مسلم وخاصة أبناء مملكتنا الحبيبة مشاعر جياشة نحو سُنَّة من سنن الله وهي أن الإنسان بقوته الروحية والمادية يستطيع أن يرتفع إلى ذرى المجد، وأن يحقق المعجزات البشرية، وأنه متى ضعفت روحه وخار جسده فإن الله بعدله وحكمته يستبدله بغيره ممن يصلح لعمارة الحياة وقيادة البشرية.

لقد استطاع الملك عبد العزيز رحمه الله وفق هذه المعطيات أن يعيد إلى المسلمين وخاصة في الجزيرة العربية ثقتهم في أنفسهم، وأن يعيد بناء إنسانها، ويصوغه صياغة جديدة. لقد حقق سلسلة من الانتصارات السياسية والعسكرية والاستراتيجية مما عاد بأعظم الآثار الحميدة على أبناء هذه الجزيرة بصفة خاصة وعلى المسلمين بصفة عامة، استطاع رحمه الله أن ينشىء دولة حديثة وكياناً من لا شيء معتمداً على الله أولاً ثم على قوته العظيمة الرُّوحية والبدنية ثم على أبناء شعبه ومعاونيه الذين استطاع بفضل الله ثم بوعيه وإخلاصه أن يعيد صياغتهم بسرعة فائقة بما يتفق والمهمة الصعبة التي انتدب نفسه لها قياماً بواجب الدين الذي

---

١ سورة الحج آية (40 41).
٢ سورة النور آية (55).
٣ صحيح الجامع رقم 2934، وقد صححه الألباني وخرّجه بتوسع في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم1761.
٤ سورة ق آية (36 37).
٥ سورة يوسف آية (111).
٦ سورة الأعراف آية (176).
٧ انظر التفسير الإسلامي للتاريخ؛ وأصول تاريخ العرب الإسلامي؛ والمسلمون وكتابة التاريخ دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ.

ملأ قلبه وفكره ووفاءً لتاريخ البيت السعودي المجيد الذي ملأ سمع الدنيا وبصرها بالحركة التجديدية التي قادها عبر قرون متتالية، وكان لها أكبر الأثر في حياة المسلمين إلى اليوم، تم ذلك كله وسط تحديات خطيرة عالمية، وإقليمية ومحلية وما هي إلا سنوات قليلة حتى أبدل الله بالجهل علماً وبالفقر غنى وبالخوف أمناً وبالفرقة وحدة، وتساقطت دمى العمالة والجهل والغباء، وقصر النظر، وضيق الأفق والأنانية، والترهل والضياع كما تتساقط أوراق الخريف أمام جحافل التوحيد والطهر، والحق، والعدل، والحيوية والحركة، والشرف والمروءة، فاستعاد أبناء هذه المملكة قوتهم والقدرة على البناء، والنمو الشامل، والتطور، والإبداع.

لقد تحقق هذا كله بفضل الله ثم بأسباب جوهرية كان من أهمها تلك الصفات العظيمة التي تحلى بها الملك عبد العزيز، وعمل بقوة على نشرها بين شعبه، والعاملين معه، وكانت صفات الملك عبد العزيز وانجازاته محل إعجاب كل من عاصره ولمسها [٨] يقول أحمد فؤاد: "يكاد بأعماله الهائلة يكون صورة من صور الأساطير قبل أن يكون بطلاً من أبطال التاريخ في مختلف عصوره، ويوم تصبح سيرته العجيبة فصلاً يُدرس في العالم العربي وفي معاهده وكلياته فستدرك الأجيال المقبلة أيَّ إنسان فذٍّ رائع قيض لعملية الإنشاء العربية هذه في طورها الأول، وسيعلم الجميع أن اسم عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود سيظل إلى الأبد علماً من أعلام التاريخ البناءة في العالم كله".

ويقول عن الإنجاز: "ليس بين الأحداث التي عرفتها الجزيرة العربية منذ انقضاء عصر الخلفاء الراشدين ما يطاول بشموخ بنائه وسمو معانيه اجتماع الحجاز ونجد وتوابعها تحت تاج واحد في دولة موحدة حرة مستقلة باتت بما حققته من المنجزات وما ترسمته من سبيل قويم هي رمز العمل الوحدوي البناء الصحيح ومرآة المستقبل الأعظم لا لأبناء الجزيرة وحدها بل لأبناء العروبة في كل صقع وزمان"[٩].

وهذا البحث محاولة صادقة - صادرة عن حب وإعجاب وولاء في الله - لتجلية بعض تلك الصفات العظيمة، وتذكيراً بأن المكتسبات التي نعيشها في المملكة لم تأت من فراغ وإنما هي نتاج إيمان صادق، وقوة عظيمة - روحية وبدنية - استنفذت بكل قوة وصدق في بناء هذا الكيان العظيم وتحقيق أهداف نبيلة.

يقول العبود منبهاً على أهمية إدراك هذه الحقيقة: "وقد نشأ جيل جديد، وجد نفسه في نعمة هذه الوحدة، ولم يكن يعرف ضدها، وأخشى أن يلهو ويفتر وينسى سبب نعمته فلا يأخذ به فتنتقض عليه عرى أمنه - وهدايته - وتحل عليه بديلاتها مما يغزوه عبر الأقمار الصناعية وغيرها من عقائد الكفار وأفكارهم"[١٠].

ويتعين في ختام هذه المقدمة أن أشير إلى النقاط التالية:

النقطة الأولى: أنَّه لا يمكن أن يَفهَم الملك عبد العزيز حق الفهم ولا يُقدَر الدور العظيم الذي قام به حق قدره إلا من تحلى بالصفات التالية:

1 - معرفة التبعات التي تحملها الإسلام والمسلمون من جراء السياسات التي سارت عليها الدولة العثمانية والانحرافات الخطيرة التي وقع فيها بعض سلاطينها.

2 - الإحاطة بما كان عليه الواقع الإسلامي عند ظهور الملك عبد العزيز وخاصة في الجزيرة العربية.

3 - معرفة الواقع الدولي بصفة عامة والأوربي بصفة خاصة وما كان يسوده من عقائد منحرفة، وأفكار ضالة، وما كان يسيطر عليه من عنصرية مقيتة وأطماع استعمارية.

4 - فهم قيم الإسلام وعقيدته الحقة - ومعرفة سنن الله في النصر والتمكين والتسليم لها.

5 - معرفة سر عظمة الملك عبد العزيز، وما كان يتمتع به من تمثل كامل للدين الإسلامي عقيدة وعمل، وما كان عليه من قوة بدنية هائلة نتيجة التربية والظروف التي عاشها.

6 - الحكم على الملك عبد العزيز من خلال منظار الشرع مع البعد عن الهوى والتعصب عند دراسة تاريخ الملك عبد العزيز.

---

٨ انظر "شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، والوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ومن مذكرات تركي بن محمد الماضي، وجزيرة العرب في القرن العشرين، وتاريخ نجد، وملوك العرب، وتاريخ المملكة العربية السعودية ج2، وأضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث، والسعوديون والحل الإسلامي، وتاريخ الدولة العلية العثمانية، وفكرة القومية العربية على ضوء الإسلام، والدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، والسياسة والإستراتيجية في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وسياسة بريطانيا في الخليج العربي، والمسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية، ومجلة الدارة العدد " 1" السنة" 9" سنة 1403هـ ص 96 والعدد " 2" السنة " 1" سنة 1405هـ ص261، إضافة إلى المصادر الوارد ذكرها في هذا البحث وأتمنى على "دارة الملك عبد العزيز" أن تعنى بأقوال الملك عبد العزيز الملفوظة والمكتوبة بجمعها في مؤلف واحد وسيكون لذلك أكبر الأثر في تسهيل مهمة الدارسين للملك عبد العزيز وقد قام صاحب "المصحف والسيف" بجهد مشكور في هذا المجال ولكن المؤمل أن يتم ذلك بشكل مستوعب لكل أقوال الملك عبد العزيز رحمه الله".

٩ يومان لا يتشابهان 183 ، 18 .

١٠ عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ص15.

النقطة الثانية: إن طبيعة هذا البحث اقتضت أن أعالجه في مقدمة وستة عشر عنصر - تضمنت أهم السمات الدالة على رسوخ "الدِّين، والشَّرف، والمروءة في حسِّ الملك عبد العزيز -.

العنصر الأول: القوة الواعية المميزة في الحق، والشجاعة النادرة المنضبطة، والصبر العظيم.

العنصر الثاني: الذكاء الحاد، والفراسة الإيمانية النافذة، والقدرة على الإقناع.

العنصر الثالث: الإيمانُ العميق بالله، وأن النصر منه وحده، والاعتزاز بالدين.

العنصر الرابع: تقوى الله، والخوف منه، تلك الصفات التي تعلو بالإنسان إلى قمم الطهر والنقاء.

العنصر الخامس: التَّجرُّد العظيم تجاه إغراءات الجاه والسُّلطان.

العنصر السادس: الشعور الدائم بالمسؤولية تجاه الدِّين، والأمة، والوطن.

العنصر السابع: الفقه في الدِّين، والثقافة الواسعة، والوعي بقضايا العصر.

العنصر الثامن: تعظيم حرمات الله، وتقدير العلم والعلماء.

العنصر التاسع: إقامة الدولة على الإسلام والإحتكام إليه.

العنصر العاشر: الدعوة إلى الدين الحق، والعقيدة السلفية.

العنصر الحادي عشر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حكمة وحزم.

العنصر الثاني عشر: الاهتمام بأمن المسلمين ووحدتهم.

العنصر الثالث عشر: الصبر والأناة، والحكمة، والواقعية في معالجة أمور الدولة.

العنصر الرابع عشر: تفعيل القيم الإيمانية، والمهنية في نفوس الأمة.

العنصر الخامس عشر: متابعة ولاته والنصفة منهم.

العنصر السادس عشر: القبول لدى الناس، والقدرة على الجذب.

النقطة الثالثة: أنني حرصت عند بناء هذا البحث أن يقوم على الحقائق المجردة دون تدخل كثير مني فتركت أدلة عناصره تنساب تباعاً سواء من أقوال الملك عبد العزيز رحمه الله نفسه أو من أقوال غيره.

وفي الختام أسأل الله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، محققاً للهدف منه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه واستنَّ بسنته إلى يوم الدِّين.

عناصر الموضوع

مما لاشك ولا جدال فيه أنّ "الدِّين، والشَّرف والمروءة" خلال اتصف بها الملك عبد العزيز رحمه الله حكمت سلوكه الشخصي وسلوكه العام في تسيير دفة أمور الدولة، وهذا حقيقة استفاضت لدى كل من لقي الملك عبد العزيز، أو اطلع على سيرته العطرة.

ويمكن تأكيد ذلك وإبرازه من خلال السمات التالية التي تحلى بها الملك عبد العزيز رحمه الله وهذه السمات ستكون مضمون عناصر البحث التالية:

العنصر الأول: القوة الواعية المميزة في الحق، والشجاعة النادرة المنضبطة، والصبر العظيم

في أول امتحان على طريق النصر كتب الإمام عبد الرحمن مشتركاً مع مبارك الصباح أمير الكويت إلى الملك عبد العزيز - وهو في طريقه لفتح الرياض - يدعوانه إلى الرجوع والكف عما هو فيه لما رأياه من كثرة المخاطر والضغوط.. ودعواه إلى الرجوع إلى الكويت.

فخطب في صفوة رجاله في آخر يوم من رجب 1319هـ بعد أن أطلعهم على كتاب أبيه وقال: "لا أزيدكم علماً بما نحن فيه.. أنتم أحرار فيما تختارون لأنفسكم، أما أنا فلن أعرض نفسي لأكون موضع السخرية في أزقَّة الكويت، ومن أراد الراحة ولقاء أهله، والنوم، والشبع، فإلى يساري - إلى يساري، وتواثب الأربعون بل الستون إلى يمينه وأدركتهم عزة الأنفة فاستلوا سيوفهم وصاحوا مقسمين على أن يصحبوه إلى النهاية، والتفت الملك عبد العزيز إلى رسول أبيه وكان حاضراً المجلس وقال له: سلم على الإمام وخبره بما رأيت، واسأله الدعاء لنا وقل له: موعدنا إن شاء الله في الرياض[١١]".

وهكذا اختار الملك عبد العزيز وصحبه رحمهم الله جميعاً ما يليق بهم من خيار، وهو اختيار قد بدت بوادره مبكراً منذ فتوة الملك عبد العزيز فإن "الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين أراد أن يلاطف (الفتى) عبد العزيز فسأله: قطر أحسن أم البحرين؟ فأجابه عبد العزيز على الفور: الرياض أحسن منهما، فقال: سيكون لهذا الغلام شأن[١٢]".

وعلى مقربة من الرياض في طريقه لفتحها استبقى ثلاثة وثلاثين ممن معه وجعل قيادتهم لأخيه محمد وقال لهم: لا حول ولا قوة إلا بالله إذا لم يصل إليكم رسول منا غداً فأسرعوا بالنجاة واعلموا بأننا قد استشهدنا في سبيل الله.

وفي ليلة فتح الرياض في داخل منزل لعجلان في طريقه للقضاء عليه عند الساعة الثامنة عربي (الثانية بعد نصف الليل) تجمع عبد العزيز ورجاله في ذلك المنزل الذي لم يكن فيه في تلك الليلة إلا زوجة عجلان وامرأة أخرى - أكلوا شيئا من التمر ثم ناموا كأنهم في بيوتهم وبعد نوم

---

١١ الوجيز 25 .

١٢ الوجيز 17 .

ساعة واحدة أو أقل طلع الفجر فنهض عبد العزيز وصلى بهم وجلس يسبح ويبتهل، والتفت إلى رفاقه بعد ذلك يتحدث إليهم حتى طلعت الشمس يوم 5 شوال 1319هـ[١٣].

ملحمة رائعة وعزيمة كالجبال - وموقف بطولي نادر لا يطيق مثله إلاّ من كانت له مؤهلات عبد العزيز، ولن يقبله بصدق ويسلم له إلاّ من توفرت فيه شروطٌ تقدم ذكرها.

وفي خطاب له رحمه الله أمام كبار الحجاج بمكة 1350هـ - 1932م يقول: .. وكل إنسان عنده نصيحة لنا من الكتاب أو السنة فنحن مستعدون في جميع الأوقات سواء كانت من كبير، أو صغير، أو جليل، أو حقير، ومن أرادنا على مخالفة شيء من ذلك فلا نقبل أبداً وقد أمرنا الله أن نتبع شريعة الإسلام وأن نعض عليها بالنواجذ، ومن غضب علينا لاستمساكنا بديننا فليغضب علينا إلى ما يشاء.. وإخواننا المسلمون نقبل منهم كل أمر فيه مناصحة على شرط أن تكون في الحق، ومسألتان لا يمكن أن نقبلها ولو قاتلنا أهل الأرض حتى لا يبقى فينا أحد.

التغيير في دين الله ولو مثقال خردلة لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالكتاب والسنة لا نحيد عنهما أبداً.

والثانية أن أي أمر يلحق استقلال أو شرف بلادنا فهذا مستحيل أن نقبله ولو تكلم من تكلم أو قال من قال... كثيراً ما يقول بعض الناس ليش ما يحط ابن سعود جمعيات ودعاية ضد الإنجليز، والمسكوف، أو الطليان، أو غيرهم، ويدافع عن المسلمين فأحب أن أكشف هذه الشبهة وأبين الحقيقة فيها.

أنا لست من رجال القول الذين يرمون اللفظ بغير حساب، أنا رجل عمل إذا قلت فعلت، وعيب عليّ في ديني وشرفي أن أقول قولاً لا أتبعه بالعمل وهذا شيء ما اعتدت عليه ولا أحب أن أتعوده أبداً وإنما آمر بالسكوت إلى وقت الفعل فإذا فعلنا تكلمنا.. وإذا برز المسلمون للعمل فالعيب.. إن تأخرنا.. وأما كلام الحق الذي يراد به باطل فهو لا نقبله، ولا نقره، ولا نسمعه، وعلينا أن نحافظ على كل شيء يقدم إلينا بأمورنا وأنفسنا على الطريقة الشرعية[١٤].

قيم خالدة ودرر تترى لو تتلمذ عليها أولئك الذين ابتليت بهم شعوبهم ممن ملئوا الدنيا هديراً وجعجعة فقط فجرُّوا على عالمنا العربي والإسلامي أوخم العواقب [١٥] لو تربوا في مدرسة عبد العزيز، ودانوا بالقيم والأخلاق التي سار عليها لكان حال المسلمين غير ما هم عليه اليوم.

لم يفرط صقر الجزيرة في شيء يتعارض مع دينه وشرفه وأمانته فحقق ما يصبو إليه، وضاع مَنْ تنازل عن كثير من دينه وشرفه وأمانته، سنة الله في النصر والتمكين ولن تجد لسنة الله تبديلا إن الله تعهد بنصر من نصره وخذلان من عصاه وتنكَّب هداه.

وقال في الخطاب الذي ألقاه أثناء استقباله في الطائف كبار رجالات الدولة والشخصيات والأعيان عام 1351هـ: "..الثاني السُّفهاء الذين يُسوِّل لهم الشيطان بعض الأمور المخلة بأمن البلاد وراحتها فهؤلاء شأني معهم شأن الدّيناميت مع النار[١٦]".

وفي خطابه في حفل تكريم كبار الحجاج عام 1351هـ 1933م يقول: "أنا مسالم ومدافع، أنا مسالم للناس، وأحب النصيحة قبل كل شيء لأن الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، أنا مدافع لأنني ما حاولت في وقت من الأوقات أن أعتدي على إخواني، وأبناء قومي، وكنت في كل وقت أقابل ما يصدر إليّ منهم من إساءة، أو خطيئة بصدر رحب، على أمل أن يرجعوا إلى الصواب، ولكنني إذا رأيت تمادياً في الغي والإساءة أضطر حينذاك للدفاع.. أنا عربي، ومن خيار الأسر العربية، ولست متطفِّلاً على الرياسة والملك، فإن أبائي وأجدادي معروفون منذ القدم بالرياسة والملك، ولست ممن يتكئون على سواعد الغير في النهوض والقيام وإنما اتكالي على الله ثم على سواعدنا يتكئ الآخرون ويستندون إن شاء الله، لقد حاربنا جيوشاً جرارة في أدوار مختلفة منذ أن قمنا بهذه الدعوة المباركة فكان نصيبها رغم كثرة عددها وعدَّتها الفشل والخسران ولله الحمد[١٧].

نعم ليس الملك عبد العزيز رحمه الله متطفلاً على الرياسة والملك، المتطفلون ينصبون لأغراض لا تخدم أممهم، وليس لشعوبهم في تنصيبهم خيار، ثم يتهاوون كورق الخريف بعد أن يكونوا خربوا البلاد، وأهلكوا العباد، وهذا النوع من المتطفلين هم مطلب أعداء العدل والحق، أما الحكومات الأصيلة الضاربة في أعماق التاريخ والمتدثرة بدثار العزِّ، والشَّرف، والكرامة، فهي التي يناصبها أعداء الإنسانية العداء، ويحيكون حولها التُّهم والشَّائعات [١٨]. وفي كلمة له رحمه الله عام 1356هـ بمكة يقول: إنَّ الدِّين الإسلامي في نظري هو أساس الرُّقي، ومن اعترضنا في ديننا أو وطننا قاتلناه ولو كان أهل الأرض[١٩].

وقال بمنى أثناء موسم حج عام 1365هـ - 1946م: "أما قدوتنا إن شاء الله فهو عمر بن الخطاب في الخلفاء الراشدين ذلك الإمام الذي حمل الدقيق على ظهره لإحدى أرامل

---

١٣ الوجيز 26 27 .
١٤ المصحف والسيف (73 77) .
١٥ انظر: الدبلوماسية والميكافيلية في العلاقات العربية الإقليمية.
١٦ المصحف والسيف (82) .
١٧ المصحف والسيف (84 85) .
١٨ انظر (اليهود وراء كل جريمة) .
١٩ المصحف والسيف (111) .

المسلمين، وفي الأمويين عمر بن عبد العزيز الذي ضرب بعدله وزهده المثل، وإنني أود أن نفنى أنا وأولادي في سبيل الله، والمسلم لا يبيت في فراشه إلا على نية الجهاد، وكذلك من لا يود أن يموت مجاهداً في سبيل الله لا يكون صحيح العقيدة، ولقد سبقت لي في الجهاد صفحات ماضيات ما باليت أن قُطعت عضدي في سبيل الله لأنني لا أقبل في الله لومة لائم، ولأن أكثر ما يهمني هو المحافظة على كلمة التوحيد ثم على محارم المسلمين، ونسأل الله أن يحيينا عبيداً، خاضعين مطيعين له خاشعين في عبادته، صادقين في إيماننا وعلينا بعد ذلك أن نسأل الله تعالى فهو الذي يقول {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}[٢٠] ومن عرف سيرة الملك عبد العزيز وخاصة برنامجه اليومي علم أنه لا يطيق ما كان يأخذ الملك عبد العزيز نفسه به إلا أمثال السلف الصالح من الخلفاء العادلين، والعلماء الربانيين، وأتمنى أن يجمع كل ما عرف عن الملك عبد العزيز في هذا الجانب، ويُدرس ويُحلل ويبرز للناشئة إبرازاً لعظماء الأمة رجاء ترسيخ تلك المثل في حياة الناشئة الجديدة.

ويقول الملك عبد العزيز في تصريح صحفي له: "... نحن قوم لا تخيفنا الحروب، ولا يرجفنا صليل السُّيوف، فقد نشأنا على متون الخيول، وسنموت على متونها إذا كان لابد من الحروب[٢١]".

ولما قال والي بغداد من قبل الحكومة العثمانية "جمال باشا السَّفَّاح" لمندوب الملك عبد العزيز - أحمد بن ثنيان -: "إن ابن سعود لا يعرف مقامه، وقد غره أن صفح عنه المشير فيضي باشا. فإن كان لا يقبل بما تطلبه الحكومة، فإن في إمكاني أن أخترق نجداً من الشمال إلى الجنوب بطابورين.

أجابه الملك عبد العزيز رحمه الله في كتاب: "قلتم إنكم تستطيعون بطابورين أن تخترقوا بلاد نجد من الشمال إلى الجنوب، ونحن نقول: سنقصر لكم الطريق إن شاء الله"، كتب الملك عبد العزيز هذا الكلام، وهاجم الكوت واستولى على منطقة الإحساء في قصة مثيرة جداً كان من نتائجها أن رضيت عنه الأستانة وأهدته النيشان العثماني الأول ورتبة الوزارة، وبدأ العثمانيون يلقبونه بصاحب الدولة[٢٢].

وقال الملك عبد العزيز لفلبي أثناء مناقشة سياسية: إذا لم تكن حكومتك على استعداد لتغيير سياستها فلا داعي لعودتك إلى الرياض. أورد كشك هذا الحدث وعلق عليه بقوله: لم يمر علينا في معاهدات الحماية، ولا في تاريخ الخليج، والجنوب وسائر المحميات حالة واحدة طرد فيها "المعتمد" البريطاني، أو طالب الحاكم سحبه، أو عطاء هذا الإنذار[٢٣].

ويقول الدكتور رشاد فرعون: "أردت أن أخرج رصاصتين استقرتا في بطن الملك أثناء إحدى المعارك فأتيت بالمخدر لأحقنه به فقال لي: ماهذا؟ قلت: البنج. قال: لماذا؟ قلت: للتسكين حتى لا تتألم فضحك وقال: دعك من هذا وبعد البنج ماذا تنوي أن تفعل؟ قلت: بعد ذلك أشق بالمبضع جلد البطن في موضع الرصاصة، وأخرج الرصاص ثم أخيط الجلد فطلب مني المبضع، وتناوله بيده، وشق موضع الرصاص وأخرج الرصاصتين ثم قال لي: الآن تستطيع خياطة الجرح ولا تحتاج معي إلى بنج.

يقول رشاد: لقد كان أقوى من الألم رحمه الله[٢٤].

ويصفه كاتب فرنسي مسلم فيقول: "... وابتدأ خطابه بإلقاء طبيعي سهل، كان خالياً من تلك الإشارات التمثيلية الثقيلة سالماً من تلك الحركات المتكلفة الركيكة، وتلك الأصوات المزعجة، فالرزانة والرجولة الكاملة، والاعتداد بالنفس كلها كانت تتفجر في خطبته، ومن العجب ألا يفارق حالته العادية وهدوءه المعتاد، حتى في ذلك الوقت الذي يبحث فيه أخطر المسائل وأهمها، ولم نر منه إشارة سوى ضم سبابتيه حينما يتكلم عن الإتحاد، وتفريقها حينما يتكلم عن التفرق، ورغم هذا كله فقد كنا نحس بأن وراء هذا الهدوء، وهذه البساطة، وهذه الرزانة حزماً، وعزماً وبطولة فذة يختص بها[٢٥]".

ويصفه يوسف ياسين بقوله: خاض عبد العزيز أكثر من مئة معركة، ولما مات وجدوا على جسمه ثلاثاً وأربعين ندبة وأثر جرح، كان عملاقاً تتمثل فيه قوى الصحراء كلها، وحسب الإنسان أن يفكر في مغامرة الرياض التي أتمها عبد العزيز بقبضة من الفرسان حتى تمتلئ نفسه إعجابا[٢٦].

هكذا كان من سمات الملك عبد العزيز رحمه الله، قوة في الحق واعية مميزة وشجاعة منضبطة نادرة، وصبر عظيم.

العنصر الثاني: الذكاء الحاد، والفراسة الإيمانية النافذة، والقدرة على الإقناع.

يقول الملك عبد العزيز رحمه الله في كلمة توجيهية لأول دفعة من خريجي المعهد العلمي السعودي 1350هـ: "... من الناس - وكثيرهم - من يعجب قوله فيأخذ بالسامع بزخرف القول إلى

---

٢٠ المصحف والسيف (128).
٢١ المصحف والسيف (151).
٢٢ الوجيز (56 58) .
٢٣ السعوديون والحل الإسلامي (380 383) .
٢٤ الوجيز 334 .
٢٥ المصحف والسيف (40) .
٢٦ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز 985/3 .

حد بعيد ويأتي في حديثه بأساليب تسحر، مصوغة في قالب يبهر العقول، وفي الجرائد اليومية والمجلات الشهرية شيء كثير من ذلك، وفي الصحف السيارة ما يصور للقارئ أن قسماً من الناس قطع في مضمار العلوم، ولاسيما الكونية منها شوطاً بعيداً، لو حاولتم الوصول إليه في عشرات السنين لما وصلتم نصف المرحلة التي قطعوها، ولكن ماذا كان وراء هذا العلم الوفير؟ لا ترى إلا أحزاباً يضرب بعضها بعضا، ولا تسمع إلا عويلاً يصم الآذان وهم بيد غيرهم كفتا ميزان يعلي هذا تارة ويسفل هذا تارة أخرى علم ولكن بالأقوال وعمل ولكن في غير المنافع، وإن ما أصاب هؤلاء هو من جراء تخاذلهم، وعدولهم عن الصراط المستقيم الذي شرحه الله تعالى في كتابه وعلى لسان صفوة خلقه صلى الله عليه وسلم. جهلوا تعاليم الإسلام الحقة وبهرتهم المدنية فنظروا إلى كل ما يصدر عن الغرب نظرة إكبار فأرادوا محاكاته، وحبذا لو حاكوه فيما يعلي من شأنهم، أرادوا محاكاته بل حاكوه فعلاً ولكن فيما يئن منه عقلاؤهم"[٢٧].

وهكذا تأتي هذه الكلمات البليغة في وقتها وفي اللحظات التي خشي فيها الملك عبد العزيز رحمه الله على أبناء أمته الانبهار بالوافد الضار من العقائد والأفكار وقد انهزم أمامه فئام مما أفقدهم ثقتهم بأنفسهم واعتزازهم بحضارتهم الإسلامية ومع هذا التحذير السديد فقد دعاهم إلى الحرص على الأخذ بالنافع أياً كان مصدره مادام لا يتعارض مع الدين والعقيدة وقد سار على نهج الملك عبد العزيز أبناؤه من بعده فوعوا المسؤولية وعلموا أسباب الخطر فحصنوا شباب هذه البلاد ضد تلك التيارات التي استهدفت عقيدة المسلمين وكيانهم والله غالب على أمره وناصر دينه **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}**[٢٨].

وفي 1350هـ قال رحمه الله أمام كبار الحجاج في القصر الملكي بمكة وهو يتحدث عما كانت عليه المملكة قبل توحيدها، وتحكيم كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في ربوعها: ".. ولا يخفاكم أيضا ما كان فيه من سفك الدماء، وعمل المعاصي وعدم الأمن، فلما ولانا الله عملنا ما نستطيع ونحن عباد مستعبدون لله، ليس لنا طريقة وليس لنا مذهب غير الدين الحنيف، وهذا كتاب الله بين أيدينا، وهذا شرع الإسلام نتبعه، أما خوض الرجال فإن كان من جهة الدين واعتراضهم عليه فالحق ما جاء في كتاب الله، والذي يكتم الحق ملعون، وكل أمر خالف الدين متروك، أما عن السلف الصالح من الخلفاء الراشدين أو الأئمة الأربعة المهتدين فإننا نتبعهم ومن كان عنده غير ذلك يبينه لنا حتى تقوم الحجة"[٢٩].

وفي خطاب له في حفل تكريم كبار الحجاج 1351هـ يقول: "... المسلمون ينقصهم معرفة الزعماء، والأشخاص ونفسياتهم، فإن هناك أشخاصاً من المسلمين يتظاهرون بالغيرة والتضحية، وهم في حقيقة الأمر على عكس ذلك، يتظاهرون بالغيرة ويسعون في الخفاء لتنفيذ مآربهم الشخصية، والتجسس على أحوال إخوانهم، وهذا أمر يؤسف له لأن الأضرار التي لحقت بالمسلمين والعرب جاءت بهذه الطريقة"[٣٠].

وفي مكة المكرمة 1353هـ أمام كبار الحجاج يقول: "... هناك أحزاب تتطاحن على أي شيء؟ .. لا أدري.. لقد أدخل الشيطان وساوسه في عقولنا فتركنا حبل الله المتين فتفرقنا أيدي سبأ... أكثر الناس يقولون أن الأغيار هم الذين ضربونا في الصميم ففرقوا بيننا... هذا كلام.. ماذا عمل الأغيار؟ الحق أن الضرر والخسران لم يأتيا إلينا إلا من أنفسنا فنحن المسؤولون عن ذلك نحن نسعى إلى التفرقة.. ونحن نعمل للبغضاء. أذكر لكم مثلاً بسيطاً يعرفه كل واحد منكم إن صحفنا وجرائدنا إذا تكلمت عن مسلم، أو عربي تكلمت عنه بشدة وقسوة ولاذع القول ولكنها إذا تكلمت عن غربي تكلمت بأدب واحترام.. فلماذا؟.

يا إخوان يجب علينا أن نحترم أنفسنا ونتكاتف ونتعاضد، فإذا نحن سرنا على هذه الطريق وفقنا الله سبحانه وتعالى واحترمنا العدو قبل الصديق"[٣١].

وفي سنة 1371هـ أبرق الملك عبد العزيز إلى الوزير السعودي المفوض في بغداد برقية جاء فيها: ولو سمحت أي دولة عربية لنفسها في أن تتدخل في الشؤون الداخلية لدولة عربية أخرى عند حدوث أية أزمة من الأزمات في ذلك البلد لوقع من ذلك شرور كثيرة[٣٢].

وهكذا يسن الملك عبد العزيز رحمه الله نهجاً ثابتا للسياسة السعودية وهي عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة.

وقد بذل الملك عبد العزيز رحمه الله جهده في الذب عن حقوق المسلمين في فلسطين بأسلوب ينم عن ذكاء بالغ ووعي كامل بالتاريخ، وقضايا العصر.

ففي 1357هـ 1938م بعث جلالته إلى الرئيس الأمريكي روزفلت رسالة جاء فيها: "أما

---

٢٧ المصحف والسيف (71) .
٢٨ سورة الحجر آية (9) .
٢٩ المصحف والسيف (75) .
٣٠ المصحف والسيف (84) وانظر لترى مصداق ما أشار إليه الملك عبد العزيز رحمه الله "الدبلوماسية والمكيافيلية في العلاقات العربية الأمريكية".
٣١ المصحف والسيف (92 93) وأرى لزاماً لمزيد الإطلاع وادراك أبعاد أهمية تحصين الأمة بالدين وغرس العزة بحضارة الإسلام في نفوس أفرادها قراءة، "أحجار على رقعة الشطرنج"، و"اليهود وراء كل جريمة"، "الإسلام والحضارة الغربية".
٣٢ المصحف والسيف (227) ، شبه الجزيرة 806/2 .

دعوى اليهود التاريخية فإنه لا يوجد ما يبررها في حين أن فلسطين كانت - ولاتزال - آهلة بالعرب في جميع أدوار التاريخ، وكان السلطان فيها لهم وإذا استثنينا الفترة التي أقام اليهود فيها، والمدة الثانية التي سيطرت فيها الإمبراطورية الرومانية عليها، فإن سلطان العرب كان منذ الزمن الأقدم على فلسطين، وقد كان العرب في سائر أدوار حياتهم محافظين على الأماكن المقدسة معظمين لمقامها محترمين لقدسيتها، قائمين بشؤونها بكل أمانة وإخلاص، ولما امتد الحكم العثماني إلى فلسطين كان النفوذ العربي هو المسيطر..." فمِّما ذكر يرى أن دعوى اليهود بحقهم في فلسطين، استناداً إلى التاريخ لا حقيقة لها، فإن كان اليهود قد استوطنوها مدة أطول من ذلك فلا يمكن أن يعتبر احتلال أمة لبلد من البلدان حقاً طبيعياً يبرر مطالبتها به، ولو اعتبر هذا المبدأ في العصر الحديث لحق لكل أمة أن تطالب بالبلدان التي سبق لها إشغالها بالقوة حقبة من الزمن، ولتسبب ذلك في تغيير خريطة العالم بشكل من أعجب الأشكال، مما لا يتلاءم مع الدول ولا مع الحق ولا مع الإنصاف.

أما دعوى اليهود التي يستثيرون بها عطف العالم، وهي أنهم مشتتون في البلدان ومضطهدون فيها وأنهم يريدون إيجاد مكان يأوون إليه ليأمنوا على أنفسهم من العدوان الذي يقع عليهم في كثير من الممالك، فالمهم في هذه القضية هو التفريق بين القضية اليهودية العالمية - أو اللاسامية - وبين قضية الصهيونية السياسية، فإن كان المقصود العطف على اليهود المشتتين، فإن فلسطين الضيقة قد استوعبت منهم حتى الآن مقداراً عظيماً لا يوجد ما يماثله في أي بلد من بلدان العالم، وليس باستطاعة رقعة ضيقة كفلسطين أن تتسع لجميع يهود العالم حتى ولو فرض أنها أخليت من سكانها العرب كما قال المستر "مالكولم" في خطاب ألقاه في مجلس النُّواب البريطاني مؤخراً فإذا قبل مبدأ بقاء اليهود الموجودين في فلسطين في الوقت الحاضر فتكون هذه البلاد الصغيرة قد قامت بأعظم قسط إنساني لم يقم بمثله غيرها.

ويرى فخامة الرئيس أنه ليس من العدل أن تسد حكومات العالم - وفي جملتها الولايات المتحدة - أبوابها في وجه مهاجري اليهود وتكليف فلسطين البلد العربي الصغير بحملهم.

وأما إذا نظرنا إلى القضية من وجهة الصهيونية السياسية فإن هذه الوجهة تمثل ناحية ظالمة غاشمة سداها القضاء على شعب آمن مطمئن، وطرده من بلاده بشتى الوسائل ولحمتها النهم السياسي والطمع الشخصي لبعض أفراد الصهيونية.

وأما استناد اليهود على تصريح بلفور " فإن التصريح بحد ذاته جاء جوراً وظلماً على بلاد آمنة مطمئنة، وقد أُعطي من قبل حكومة لم تكن تملك يوم إعطائه حق فرضه على فلسطين، كما أن عرب فلسطين لم يؤخذ رأيهم فيه ولا في نظام الانتداب الذي فرض - كما صرح بذلك " مالكولم " وزير المستعمرات البريطاني أيضا - وذلك برغم الوعود التي بذلها الحلفاء - وبينهم أمريكا - لهم بحق تقرير المصير.

ومن المهم أن نذكر أن وعد بلفور كان مسبوقاً بوعد آخر من الحكومة البريطانية باعتراف الحلفاء بحق العرب في فلسطين وغيرها من بلاد العرب.

ومن ذلك يتبين لفخامتكم أن "حجة اليهود التاريخية" باطلة ولا يمكن اعتبارها كما أن حجتهم من الوجهة الإنسانية قد قامت فيها فلسطين بما لم يقم به بلد آخر ووعد "بلفور" الذي يستندون إليه مخالف للحق والعدل ومخالف لمبدأ تقرير المصير والمطامع الصهيونية تجعل العرب في جميع الأقطار يوجسون منها خيفة وتدعوهم لمقاومتها.

أما حقوق العرب في فلسطين فإنها لا تقبل المجادلة لأن فلسطين بلادهم منذ أقدم الأزمنة وهم لم يخرجوا منها كما خرج غيرهم، وقد كانت من الأماكن التي ازدهرت ازدهارا يدعو إلى الإعجاب، ولذلك فهي عربية عرقاً، ولساناً، وموقعاً، وثقافة، وليس في ذلك أية شبهة أو غموض، وتاريخ العرب في تلك البلاد مملوء بأحكام العدل والأعمال النافعة.

.. وقد كان تدفق مهاجري البلاد من الآفاق المختلفة إلى فلسطين مدعاة تخوف العرب على مصيرهم وعلى حياتهم فحدثت في فلسطين ثورات وفتن متعددة في 1920، 1921، 1929م وكان أهم تلك الثورات عام1936م التي لاتزال نارها مستعرة حتى هذه الساعة.

... إنه ليس من العدل أن يطرد اليهود من جميع أنحاء العالم المتمدن، وأن تتحمل فلسطين الضيقة المغلوبة على أمرها هذا الشعب برمته[٣٣].

وفي عام 1364 وقد بدأت تظهر إلى السطح حقيقة ما يسعى إليه الصهاينة كتب الملك عبد العزيز رحمه الله رسالة إلى الرئيس "روزفلت" وأرسل نسخة طبق الأصل منها إلى رئيس الوزارة البريطانية "ونستون تشرشل" جاء فيها: لو تصورنا استقلال اليهود في مكان ما من فلسطين فما الذي يمنعهم من الاتفاق مع أي جبهة قد تكون معادية للحلفاء، ومعادية للعرب وهم قد بدأوا بعدوانهم على بريطانيا بينما هم تحت حمايتها ورحمتها.

لاشك أن هذه أمور ينبغي أخذها بعين الاعتبار في إقرار السلم في العالم عندما ينظر في قضية فلسطين. ففضلاً عن أن حشد اليهود في فلسطين لا يستند إلى حجة تاريخية ولا إلى حق طبيعي، وأنه ظلم مطلق، فهو في نفس الوقت يشكل خطراً على السلم، وعلى العرب، وعلى الشرق الأوسط.

وصفوة القول، أن تكوين دولة يهودية بفلسطين، سيكون ضربة قاضية لكيان العرب، وممهداً

---

٣٣ المصحف والسيف (187 189) .

للسلم باستمرار[٣٤].
وهكذا يضع الملك عبد العزيز رحمه الله يده على موضع الألم، والنقاط على الحروف وينذر العالم بما يمثله الخطر الصهيوني على البشرية كلها[٣٥].
وفي برقية من الملك عبد العزيز للأمين العام لجامعة الدول العربية رداً على برقية منه كان أرسلها حول أحداث حصلت في الشام جاء فيها: "... ما هو خافيكم مقاصد الحكومات وأهدافها البعيدة والقريبة، فهذه لابد أن تضعوها أمام أعينكم، واعلموا جزماً بأنهم يقدمون مصالحهم على كل شيء، وإذا حدث شيء من المشاكل فإن مصالحهم مقدمة على كل حال"[٣٦].
وفي مناقشة مع إحدى الشخصيات العربية البارزة حول تحريم شرب الدخان في المملكة قال الملك عبد العزيز: إذا لم ننظر إلى ناحية التحليل والتحريم وأبيح التدخين فكم ينفق المدخنون عندنا... إلى أن قال: ما عندنا دخان ولا ورق للدخان ولاشيء من آلاته، كله يأتي من الخارج تريد أن نرسل مع فقرنا خمسة آلاف جنيه هدية إلى الخارج كل يوم مقابل ما ننفخه في الهواء[٣٧].
نصوص واضحة، تدل على ما كان يتمتع به الملك عبد العزيز رحمه الله من ذكاء، وفراسة، وقدرة على الإقناع.
العنصر الثالث: الإيمان العميق بالله وأن النصر منه وحده والاعتزاز بالدِّين
يقول الملك عبد العزيز رحمه الله في مكة 1347هـ - 1929م: "... ولقد ابتعدوا - يعني المسلمين - عن العمل بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانغمسوا في حمأة الشرور والآثام فخذلهم الله جل شأنه، ووصلوا إلى ما هم عليه من ذل وهوان، ولو كانوا مستمسكين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لما أصابهم ما أصابهم من محن، وآثام، ولما أضاعوا عزهم وفخارهم.
لقد كنت لا شيء.. وأصبحت اليوم وقد استوليت على بلاد شاسعة يحدها شمالاً العراق وبر الشام، وجنوباً اليمن، وغرباً البحر الأحمر، وشرقاً الخليج.. لقد فتحت هذه البلاد ولم يكن عندي من الأعتاد سوى قوة الإيمان، وقوة التوحيد، ومن التجدد غير التمسك بكتاب الله وسنة رسوله، فنصرني الله نصراً عزيزاً.
لقد خرجت وأنا لا أملك شيئاً من حطام الدنيا، ومن القوة البشرية، وقد تألب الأعداء عليّ ولكن بفضل الله وقوته تغلبت على أعدائي وفتحت كل هذه البلاد [٣٨] وفي مكة 1348هـ - 1930م يقول في حفل أقيم لجلالته رحمه الله: "... لعل الله يوفقنا بذلك لخدمة الدين ونشر حقيقته وبهذا وحده ننال العز والفخار في الدنيا والآخرة، وثقوا بأن الله يؤيد من يعمل ويسعى في هذا السبيل.. أما نحن فإننا نعتصم بحبل الله تعالى ومن اعتصم بالله فهو حسبه[٣٩]".
وفي المؤتمر الوطني الذي انعقد في القصر الملكي بمنى 1350هـ، 1931م يقول رحمه الله: يستحيل على الإنسان أن يكون شيئاً يذكر إلا أن ينال عناية من الله تعالى، وعناية الله لا تكون إلا لمن تبع أمر الله تعالى، ومن وفّقه الله وكان في كنف الله وفي عنايته كان النصر حليفه بدون شك... أنتم تعرفون أن هناك قبيلاً من البشر يسمونهم "العرب" ولو كان لأحد أن يفتخر بهم لوجب أن أفتخر أنا بهم.. وكانوا في ظلمات الجهل والضلالة ولكن الله منّ عليهم بنعمته وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم وليس من شك في أن أفضل قبيلة في الدنيا هي القبيلة التي بعث منها محمد صلى الله عليه وسلم، وأفضل بقعة هي البقعة التي بعث منها صلى الله عليه وسلم فالشرف العظيم لا يُنال بالانتساب إلى الآباء وإنما يُنال بالتقوى، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.. والشّرف يكون بأمرين:
بالدين ثم بالصدق في الأقوال والأفعال.. وأفضل شيء يقام هو تنفيذ أوامر الله تعالى في هذه البقعة المباركة التي أنزل بها الوحي وبعث بها محمد صلى الله عليه وسلم وهي مسقط رأسه ومدفنه[٤٠].
وفي الكلمة التوجيهية التي ألقاها الملك عبد العزيز رحمه الله في أول دفعة من خريجي المعهد العلمي السعودي 1350هـ ، 1931م قال: "اعلموا أن الناس لو كانوا جميعاً على قلب أكفر رجل لما ضروا الله شيئاً، ولو كانوا على قلب أتقى رجل لما نفعوا الله شيئاً إن الله لغني عن العالمين"[٤١].
وفي مكة 1350هـ 1932م في الحفل الذي أقامه جلالة الملك عبد العزيز تكريماً لكبار الحجاج قال: "... أما السلاح الثاني - وهو الأعظم - فالذي أوصي به نفسي وأوصيكم به، وهو

---

٣٤ المصحف والسيف (209).
٣٥ لمزيد اطلاع على الخطر اليهودي اقرأ "الماسونية عقدة المولد، وعار النهاية"؛ و"مجتمع الكراهية، والأخوة الزائفة"، "بروتوكلات حكماء صهيون" ، "حكومة العالم الخفية" "الماسونية في العراء"، "اسرائيل عام 2000".
٣٦ المصحف والسيف "212" .
٣٧ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (1051/3) .
٣٨ المصحف والسيف (55) .
٣٩ المصحف والسيف (61 62) .
٤٠ المصحف والسيف (66 68) .
٤١ المصحف والسيف (71) .

التقوى والاعتصام بحبل الله جميعاً فإذا علمتم ذلك نلتم العزة في الدنيا، والعفو في الآخرة، ورحمة الله وسعت كل شيء ولا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها وكل طريق غير ذلك لا يفيد[٤٢].

وفي المحرم 1351هـ ، 1932م ألقى كلمة أمام كبار رجالات الدولة، والشخصيات، والأعيان قال فيها: الشريعة كلها خير، وإن الله سبحانه وتعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل ووضع فيها ما أمرهم به وما نهاهم عنه.

والأمر لا يتم إلا بمسألتين: الأولى: التوفيق.. والتوفيق لا يكون إلا بالله **{وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ}**[٤٣] والإنسان بلا توفيق لا يستطيع أن يعمل شيئاً.. أما نحن فلا عز لنا إلا بالإسلام ولا سلاح لنا إلا التمسك به، وإذا حافظنا عليه حافظنا على عزنا وسلاحنا وإذا أضعناه ضيعنا أنفسنا وبؤنا بغضب من الله، وإن الذي أريده وأطلبه منكم هو ما ذكرته لكم من التمسك بدين الله وهذه طريقتي التي أسير عليها والتي لا يمكن أن أحيد عنها مهما تكلفت، وإنّي أحب أن أردد عليكم هذا لاعتقادي أنه كالمطر إذا تكرر نزوله على الأرض أنبتت وأثمر نباتها.. وقال هنا أيضا: لا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام ولا عز لنا إلاّ بالتمسك به.

ثم قال أيضا: ولينعم كل إنسان بنعمة الإسلام، وحرية الإسلام، وغير هذا لا نعمة ولا حرية فمن كان مشارفاً بنظره من قرب أو بعد فليعلم أن الناس لم يتركونا رحمة أو عطفاً وإنما تركونا لأن الله أراد تأييدنا ونصرنا[٤٤].

وفي موسم حج عام 1352 ه جاء في خطابه في الحفل السنوي لكبار الحجاج: أنا قوي بالله تعالى ثم بإيماني ثم بشعبي، وشعبي كل منهم كتاب الله في رقابهم وسيوفهم بأيديهم، يناضلون ويكافحون في سبيل الله، ولست أدعي أنهم أقوياء بعددهم أو عددهم، ولكنهم أقوياء - إن شاء الله - بإيمانهم"[٤٥].

وفي ذي الحجة 1356هـ قال أمام كبار الحجاج: من نعم الله علينا معرفة لا إله إلا الله وكل إنسان يعمل بها تتم له السعادة، فهذه الكلمة هي كل شيء، ومضمون كل شيء.. وكل إنسان لا يؤمن بكتاب الله، ويعمل بحكمته، ويؤمن بمتشابهها فهو ضال.. وكل إنسان لا يؤمن بمحمد، وبما جاء به محمد، ويصدقه بالأقوال والأفعال، ويكون أحب إليه من نفسه وماله فهو ما عرف الله ولا آمن به[٤٦].

ويقول حفيده الأمير عبد الله الفيصل وهو يتحدث عن مزايا جده وسر ما وصل إليه فيقول: "إنني أعزو ذلك لعدة أسباب:

أولها: الصلة بين العبد المؤمن الصادق في إيمانه وبين الخالق جلّ وعلا، إن صلة عبد العزيز بالله، لم تكن صلة مقرونة برغبة دنيوية. فعقيدته عقيدة خالصة لوجه الله، وإيمانه مطلق ليس له حد، فلذلك نجد التوفيق حليفه في أعماله..

وبعد هزيمة الملك عبد العزيز في جراب.. تلك الهزيمة المؤلمة صادفه فيصل الحمود الرشيد وأخذ يبكي متأثراً بالهزيمة فقال الملك عبد العزيز والقصة لحفيده عبد الله الفيصل: يا فيصل لا تبك فأنا والله بالأمس في حالة الخوف من أن يوكلني ربي على قوتي، والآن في حال الرجاء أن ينصرني، وسوف أسترد قوتي بحول الله قبل نهاية الشهر.. فكان من القلائل الذين يستمدون من الضعف قوة"[٤٧].

ويقول يوسف ياسين: سمعت الملك عبد العزيز يقول غير مرة: إذا أراد المسلمون والعرب قتال أعدائهم فإن أعدَّ المسلمون والعرب آلةً واحدة من آلات الحرب أعدلهم أعداؤهم مئات وألوفاً، ولكن قوة واحدة إذا أعدها المسلمون والعرب لا يمكن أعداءهم أن يأتوهم بمثلها، هي إيمانهم بالله. وثقتهم به، هذه القوة لا قبل لا حد بها[٤٨].

وفي حديث لمجلة "لايف" الأمريكية وهي تتحدث عن الملك عبد العزيز تقول: "...وأعظم صفةٍ خلابة في الملك عبد العزيز، اعتقاده الوثيق بالعدل الإلهي، وهو لهذا لم يندهش كثيراً عندما أمد الله البلاد العربية بالزيوت، كما أمدها بالأمطار فيما مضى، ولن يدهشه كثيراً أن يمد الله العالم بالسلام وما يتبعه من رخاء".

ونشرت مجلة بلجيكية سلسلة مقالات تحت عنوان "سيد جزيرة العرب" قالت في إحداها: "الملك عبد العزيز، مسلم ورع اتصل عن طريق الزواج بجميع الأسر النبيلة وربط أواصر صداقته مع القبائل... وهو يتحلى بصفات السياسي المحنك استطاع بدهائه العربي أن يتغلب حتى على بريطانيا، وأن يصبح الآن أبرز شخصية من شخصيات العالم الشرقي، وأصبح محط أنظار العالم الإسلامي وموضع مجاملة الدول الغربية"[٤٩].

---

٤٢ المصحف والسيف (75) .
٤٣ سورة هود آية 88 .
٤٤ المصحف والسيف (79 82) .
٤٥ المصحف والسيف (88) .
٤٦ المصحف والسيف (113) .
٤٧ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز 914،918/3 .
٤٨ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز 983/3 .
٤٩ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (1131/3 - 1133) .

وفي برقية لولي عهده ابنه الملك سعود يقول: "تفهم أننا نحن والناس جميعاً ما نعز أحداً ولا نذل أحداً وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى، ومن التجأ إليه نجا، ومن اغتر بغيره (عياذاً بالله) وقع وهلك.."[٥٠].

العنصر الرابع: تقوى الله، والخوف منه، تلك الصفات التي تعلو بالإنسان إلى قمم الطهر والنقاء

تتجلى هذه الصفات في شخص الملك عبد العزيز في أجمل الصور، ومن أبرز ما يوضح ذلك برنامجه اليومي.

بقول الزركلي وهو يتحدث عن برنامج الملك عبد العزيز رحمه الله اليومي:

يستيقظ قبل الفجر بنحو ساعة، فيقرأ سوراً من القرآن الكريم، ويتعبد ويتهجد، وكثيراً ما يسمع له نشيج، ويستمر إلى أن يؤذن الفجر فيصلي الصبح مع الجماعة.

ثم يسبح ويقرأ ورد الصباح.

ثم يدخل فيضطجع قليلاً، وينهض فيغتسل، ويلبس ثيابه ويفطر.

ثم يخرج إلى المجلس الخاص فتعرض عليه مهام الحكومة في فترة غير طويلة يأذن بعدها بالمقابلات الخاصة لكبار الزوار.

ثم ينتقل إلى المجلس العام حيث يدخل كل من يريد مقابلته ويمكث نحو ساعة فإذا اقترب وقت الظهر نهض للغداء، ومنه إلى القصر فيستريح قليلاً ثم يصلي الظهر مع الجماعة ويعود إلى مجلسه الخاص فيعرض عليه ما تجدد من الشئون العامة إلى صلاة العصر، ويجلس بعدها لإخوانه وأولاده، وأقاربه، وكبار الموظفين.

ثم يخرج بسيارته إلى ظاهر المدينة للرياضة، ويعود بعد صلاة المغرب.

وبعد العشاء يجلس في مجلس شبه عام، وهناك يحضر القارئ فيتلو فصولاً من كتب مختلفة، وبعد قليل يدخل قارئ الإذاعة العربية فيتلوا ما التقط من محطات الإذاعة الشرقية من متنوع الأخبار، ويأتي بعده قارئ الإذاعات الأجنبية، ويتكرر قراء الإذاعات في الضحى، وبعد العصر، والهزيع الأول من الليل في نحو العاشرة زوالي فينفض المجلس بنهوض الملك عائداً إلى داخل القصر[٥١].

وتتحدث مجلة "لايف" الأمريكية عن برنامجه أيضا فتقول: "ويقضي الملك معظم أوقاته في تصريف شؤون المملكة، فهو بعد تلاوة ما تيسر من القرآن مدة ساعة قبل الفجر ينهض للصلاة ثم يستحم ويتعطر بعطر الورد.. ويذهب بعد الإفطار إلى البلاط حيث يتقدم وزراؤه واحداً بعد واحد لإحاطته علماً بما حدث منذ اليوم السابق وتحوي هذه المحادثات كل كبيرة وصغيرة.. وفي البلاط الآن ثلاثة تراجم يتلقون الأنباء الخارجية ويترجمونها للملك في أوقات منظمة..[٥٢].

ويتحدث "فلبي" عن جانب من برنامج الملك عبد العزيز اليومي فيقول "إن عبد العزيز لم يكن يستطيع أن يختم القرآن أكثر من 4 مرات في رمضان كل سنة بسبب مشاغل الدولة؟ وفي رمضان ينام ساعة بعد الفجر، وساعتين ونصف بعد الضحى، وساعة بعد صلاة العصر وثلاث ساعات على الأكثر في الليل، وقد عود نفسه طوال حياته على نوم ساعات قليلة تقسم على فترات"[٥٣].

لقد جاء الدين الإسلامي بالتأكيد على قيمة الوقت، وقرر مسؤولية الإنسان عنه أمام الله يوم القيامة ووعي ذلك المتقون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم عبر التاريخ وجنى المسلمون أفضل الثمار يوم كان للوقت أهميته في حياتهم، ويوم كانوا يحاسبون أنفسهم على اليسير من أوقاتهم[٥٤]. وكان للملك عبد العزيز في ذلك أروع الأمثلة كما تقدم وحتى في سفره الذي هو بالتأكيد في ذلك الزمن محل النصب والعناء كان يستثمر وقته بشكل لم يعهد له مثيل في عصره.

يقول الريحاني: "... إذا ما طال الليل وملّ الحادي سمعنا صوت السلطان ينادي العجيري.. فيحث الراوية راحلته، وبعد أن يدنوا من عبد العزيز.. ماذا يبغي الإمام فصلاً في مكارم الأخلاق؟ فصلاً في الشجاعة والإقدام؟ فصلاً في البر والتقوى؟ فصلاً من نوادر الملوك؟..

وفي ساعة الإدلاج.. نسمع الصوت ينادي العجيري فيدنو الراوية من عظمة السلطان ويطفق يرتل طائفة من آيات الذكر الحكيم ترتيلاً جميلاً أنيقا "تكاد تعد منه حروفه" ثم يؤذن المؤذن صلاة الفجر.

وبعد الصلاة والقهوة يستأنف الركب السير فينادي السلطان: أين الشيخ، فيلبيه أحد العلماء ويشرع يتلو شيئاً من القرآن، ثم بعد الضحى يدعوه ثانية أو يدعو غيره من العلماء، قارئ الرحلة مثلاً فيسلم هذا قياد راحلته إلى خادم يقودها، ويتناول من حقيبته السيرة النبوية، أو صحيح مسلم، أو تاريخ ابن الأثير، أو كتاب الترغيب والترهيب، فيطفق يقرأ ساعة أو ساعتين

---

٥٠ الوجيز (158) .
٥١ الوجيز (181) .
٥٢ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (1130/3) .
٥٣ السعوديون والحل الإسلام (61) .
٥٤ انظر "الوقت في حياة المسلم"، و"سوانح وتأملات في قيمة الزمن".

بصوت عال يسمعه المتقدمون في الموكب والمتأخرون[٥٥].

منهج حياة لا يطيقه إلا الكبار عقيدة وسلوكاً وأنيّ - بعد هذا - لقوةٍ أن تخترق من هذا منهجه أو أن تنال منه شيئاً.

يقول عوني عبد الهادي 1936م: "شيئان هائلان في الجزيرة: الصحراء، وابن سعود. ابن سعود عبارة عن عالَم في رجل ملمُ كل الإلمام بدخائل ملكه مؤمن متدين إلى حد عظيم، قالوا: إن الذي يصغي إليه وهو يقرأ كتاب الله في الليل لا يملك نفسه عن البكاء".

ويقول العقاد: "إن ابن سعود، من أولئك الزعماء الذين يراهم المتفرسون المتوسِّمون فلا يحارون في أسباب زعامتهم ولا يجدون أنفسهم مضطرين أن يسألوا لماذا كان هؤلاء زعماء..؟ لأن الإيمان باستحقاق هؤلاء المنزلة الزعامة في أقوامهم أسهل كثيراً من الشك في ذلك الاستحقاق[٥٦].

واقتُرِح على الملك عبد العزيز رحمه الله تدمير إحدى المدن، فكان رده كالتالي: "... ولكن ما هو يخاف أن هدمها مشكلُ: أولاً: من طرف الله وخوفاً منه تعالى في الأمور التي تتجاوز الحد..." الخ.

أورد التويجري هذا الرد الورع وعلق عليه بقوله: ".. وقد لا أكون مبالغاً إذا قلت: إن رده... كان جامعا لمكارم الأخلاق، كافيا أن يكون تاريخ حياته، وعنوان شخصيته العظيمة، والمدخل إلى دراستها[٥٧]، فرحم الله الملك عبد العزيز، الرد كان جليلاً وعظيماً تمثلت فيه تقواه فخوف الله كان مالكاً عليه كل تصرفاته، في غضبه ورضاه، في هزيمته وانتصاره"[٥٨].

ويصفه د."فون ويزل" الذي زار جلالته عام 1345هـ 1926م فيقول: "... وفي ابن سعود ميزة أخرى وهي أنه كريم وصادق، وقد حادثته مرتين في شؤون مختلفة كان بعضها دقيقاً جداً فلم ألحظ قط أنه يلبس الباطل ثوب الحق.. نعم.. كان "سياسياً" أحياناً في أجوبته - فلا يقول كل مايعرفه - ولكنه لم يتلفظ بكلمة واحدة غير صادقة.. والظاهر أن هذا شأنه مع الجميع فإني لما قابلت القناصل الأجانب في جدة قالوا لي "إذا قال لك ابن سعود شيئاً فثق أنه يقول لك الحقيقة التي لا تشوبها شائبة"[٥٩].

نهج فريد في القيم والأخلاق، العالم اليوم في أمس الحاجة إليه وقد ابتلي بسياسات تقوم في مجملها في التعامل السياسي الدولي على الغدر والغش والخيانة وقد أحس بعض مفكري تلك السياسات وأبناء تلك الحضارات بعظمة ما يمثله النهج الإسلامي - والذي كان النهج الذي سار عليه الملك عبد العزيز - فأشادوا به وهو نهج كان ولا يزال يفرض نفسه في مجال القيم والأخلاق على الأمم والشعوب فلعل الله ينقذ البشرية من وهدتها بالأوبة إلى دين الله.

ويقول الأستاذ عبد الرحمن عزام الأمين العام الأسبق لجامعة الدول العربية في مقال له بعد وفاة الملك عبد العزيز رحمه الله: "نشأ مطارداً في أرض أبائه وأجداده فعلت همته على مصائب الدهر، فصارع خصومه، واعتمد على الله، ثم على خلق قويم ونفس سمحة وعزة في دهاء، وشدة في حلم ورحمة، فجمع جزيرة العرب التي لم تجتمع إلا فترات قصيرة بعد ردتها أيام أبي بكر رضي الله عنه، وأمّنها وتربع فيها، وليس في يده إلا سيفه وكتاب الله عدته، وقد عرفته منذ قرابة ثلاثين سنة، هو، هو. الرجل الذي يملأ سمع الدنيا وبصرها.

كان متعدد الجوانب كامل الرجولة، لا أعرف أن أحداً التقى به من خصومه أو مواليه إلا أثر فيه بشخصيته التي لم يجد التاريخ إلا شذوذاً بمثلها.

عرفته وهو لا يملك من المال لإدارة هذا الملك الواسع إلا الكفاف، وعرفته والدنيا تفيض بين يديه خيراً وبركة - فلم يكن إلا عبد العزيز ابن سعود.-. وُلد سيداً ومات سيداً.

يعطي كل ما يملك من القليل، ويعطي كل ما بيده من الكثير، لا يعرف المن والأذى كان رجلاً، إذا أخذت الأمور على طبائعها فإنه ليس إلا شيخاً كبيراً في قوم من البدو، بلاده ومن فيها تعيش في القرون الوسطى، ولكنه بشخصه وبما أودع فيه من مهابة واستقامة وروح شعاعة، استطاع أن يلفت أنظار الدنيا كلها إلى شخصه ثم إلى وطنه ثم إلى العرب كافة.

لم يكن يملك جيشاً ولا مالاً ولا سلطاناً يساوي شيئاً مما كان لشخصه في النفوس في العالم الجديد والقديم، فهو بهذا الاعتبار عربي لم تعرف الجزيرة منذ أيام عمر رضي الله عنه له مثيلاً وسيبقى خالداً"[٦٠].

شهادة حق من رجل كفؤ تؤكد أيضا أن سر عظمة الملك عبد العزيز في أخلاقه وقيمه الرفيعة.

وفي كلمة له ألقاها عام 1348هـ 1930م في مكة يقول: "... وقد جعل الله الفخار لأي

---

٥٥ تاريخ نجد الحديث (361 363) .

٥٦ الوجيز (196) .

٥٧ سرني الوقوف على هذا النص للشيخ التويجري، وهو من توافق الخواطر فإن فكرة هذا البحث مصدرها ما أشار إليه الشيخ، ومن عرف سيرة الملك عبد العزيز حق المعرفة علم أن سر عظمته هو القيم التي تحلى بها فهي ولاشك جديرة بأن تكون المدخل إلى دراسة شخصيته العظيمة.

٥٨ لسراة الليل هتف الصباح (651 653) .

٥٩ المصحف والسيف (40) .

٦٠ شبه الجزيرة (3/ 10651067) .

كان بالتقوى لا بغيرها، فلم يكن في الإسلام تفاضل بين العربي وغير العربي إلا بها وفخار العرب، وعزهم بالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم، والكريم عند الله هو التقي الورع {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [٦١] وقد أنزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم خير الكتب فأمرنا بهذا الكتاب المبين وبرسوله، وهذا خير فخار لنا"[٦٢].

وفي خطبة له في سنة 1350هـ 1931م أمام المؤتمر الوطني يقول: "إن الناس ليس لهم حياة إلا بعناية الله وتوفيقه، وهم غير معذورين في تركهم الاستمساك بما أمر الله به أوفي ارتكاب ما نهي عنه: قال تعالى: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [٦٣][٦٤].

وفي عام 1351هـ - 1932م استقبل كبار رجالات الدولة والشخصيات والأعيان وألقى كلمة فيهم جاء فيها: "..إني أعتمد في جميع أعمالي على الله وحده لا شريك له أعتمد عليه في السر والعلانية والظاهر والباطن، وإن الله سهل طريقنا لاعتمادنا عليه وإني أجاهد لإعلاء كلمة التوحيد والحرص عليها، وأحب أن أراها قائمة ولو على يد أعدائي، وإن تمت على يدي فذلك فضل من الله، وكل عمل لا يتم إلا بالإخلاص فالنصيحة للمسلمين واجبة وقد قيل "الدِّين النصيحة" ومن عمل ذلك وجاهد فيه فقد أدى ما عليه[٦٥]".

ويقول في خطاب له عام 1352هـ - 1933م أمام كبار الحجاج: "أنا لا أبرئ نفسي فذنوبي كثيرة، أرجو من الله الرحمة والغفران، وإنما غاية ما أرجوه أن أكون صادقاً في القول، والعمل، وفي الباطن والظاهر، وأنا وإن كنت ملكاً ولكنني أوقفت نفسي وعملي على ثلاث مسائل:

1 - أنني أعمل ما فيه الخير والصلاح لديني إن شاء الله.

2 - ليس لي رغبة في معاداة أحد من المسلمين صغيراً أو كبيراً.

3 - أنا لا أحب الاعتداء على أيٍّ كان، وجل غايتي في كل وقت الدفاع عن ديني وشرفي وبلادي، وأشهد الله في هذا الشهر المبارك على أنني أتمنى وأسعى للائتلاف والتصافي في كل وقت وآن"[٦٦].

وفي كلمة له عام 1356هـ - 1937م يقول: "إن الإسلام ملك علينا قلوبنا وكل جوارحنا، ونسأل الله أن يميتنا على الإسلام، ويحفظنا بالإسلام، ويحفظ بنا وبالمسلمين الإسلام"[٦٧].

ومقومات الإنسان عند الملك عبد العزيز رحمه الله: الدين، والمروءة، والشرف يقول: وإذا ذهبت واحدة من هذه سلبته معنى الإنسانية[٦٨].

وله رحمه الله أذكار عجيبة[٦٩] منتقاة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك كان لسانه يلهج بها في أوقات مناجاة ربه يقول الزركلي: "أخبرني أحد ضباط القصر الملكي. قال: رأيت الملك عبد العزيز في الهزيع الأخير من الليل عند صلاة الفجر يتمسك بأستار الكعبة ويدعو قائلاً: "اللهم إن كان في هذا الملك خير لي وللمسلمين فأبقه لي ولأولادي وإن كان فيه شر لي وللمسلمين فانزعه مني ومن أولادي"[٧٠].

ويبرق لولي عهده الملك سعود رحمه الله برقية جاء فيها: "تفهم أننا نحن والناس جميعاً ما نعز أحداً وإنما المعز، والمذل هو الله سبحانه وتعالى، ومن التجأ إليه نجا ومن اغتر بغيره - عياذاً بالله - وقع وهلك.. ينبغي أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور:

أولاً: نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون دينك إعلاء كلمة التوحيد، ونصر دين الله، وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتاً خاصة لعبادة الله، والتضرع بين يديه في أوقات فراغك. تعبد إلى الله في الرخاء تجده في الشدة، وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك كله على برهان وبصيرة في الأمر، وصدق في العزيمة، ولا يصلح مع الله سبحانه وتعالى إلا الصدق، وإلاّ العمل الخفي الذي بين المرء وربه.

ثانياً: عليك أن تجدَّ وتجتهد في النَّظر في شؤون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سراً وعلانية والعدل في المحب والمبغض، وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل، والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً وينبغي أن لا تأخذك في الله لومة لائم.

ثالثاً: عليك أن تنظر في أمر المسلمين عامة، وفي أمر أسرتك خاصة اجعل كبيرهم والداً ومتوسطهم أخاً، وصغيرهم ولداً، وهنْ نفسك لرضاهم وامحُ زلتهم وأقل عثرتهم، وانصح لهم

---

٦١ سورة الحجرات آية (13) .

٦٢ المصحف والسيف (61) .

٦٣ سورة الحج آية (41) .

٦٤ المصحف والسيف (67) .

٦٥ المصحف والسيف (79) .

٦٦ المصحف والسيف (88) .

٦٧ المصحف والسيف (111) .

٦٨ الوجيز (48) .

٦٩ للملك عبد العزيز رحمه الله ورد مطبوع بعنوان "الورد المصطفى المختار من كلام الله تعالى، وكلام سيد الأبرار" أتمنى أن يحقق وتُخرّج نصوصه بشكل علمي فهو أهل لذلك، فقد اشتمل على أذكار وأدعية تعتبر من أعظم غذاء القلوب.

٧٠ الوجيز (334) .

واقض لوازمهم بقدر إمكانك فإذا فهمت وصيتي هذه، ولازمت الصدق والإخلاص في العمل فأبشر بالخير[٧١].

هذا قليل من كثير من أدلة تقوى الملك عبد العزيز رحمه الله وخوفه من ربه ذلك السلاح العظيم والحصن الحصين الذي احتمى به الملك عبد العزيز من شرور أعدائه ومن خطل القول والفعل. وكان من أعظم أسباب النصر والتمكين له. قل المال عليه وهو يحاصر جُدَّة وضاقت صدور الرجال، فنظر الملك عبد العزيز إلى من حوله وقال: المؤن متوفرة في نجد.. من شاء منكم الرحيل فليرحل، أما أنا فمقيم والفرج من عند الله.

وجاء الفرج فقبل أن يُمسي ذلك اليوم وصلت قافلة يتقدمها إسماعيل بن مبيريك أمير رابغ.. جاء بالطاعة وبعشرين بعيراً تحمل التمر، والسمن، والبر، ولما كان في حصار جدة جاءه الخبر أن طائرة جُهزت بمدفع رشاش لتقصف معسكر الملك عبد العزيز وليس فيه يومئذ ما يعصم من غارات الجو، لا مدافع مضادة للطائرات ولا مخابئ فقال: يكفينا الله شرها؟

وحلقت الطائرة فوق مخيم الملك عبد العزيز قبيل الظهر، وعلى ظهرها شاب يحمل قنبلتين يدويتين وكان قال في مطار جده - كما روى من تمنى له النجاح قبل اقلاع الطائرة - : "سألقيهما على رأس عبد العزيز ولكن الله كفى شرها فانفجرت قنبلة في الطائرة واشتعلت النار في الجو وهوت الطائرة وكفى الله المؤمنين شرها وأصبحت ومن فيها كومة من الرماد أمام خيمة الملك عبد العزيز"[٧٢].

تقوى الله استجلب بها عبد العزيز النصر والتمكين، واحتمى بها من الوقوع في خطل القول والفعل.

يقول الزركلي: "ليس في تاريخ عبد العزيز حادث واحد يدل على أنه ابتدأ إنساناً بشر أو عداء"[٧٣].

ويوم كان بناة وحماة!! ما عرف "بالقومية العربية"، والمرتزقة من مقاتليها ينفذون خطط لورنس وقادته، ويسفكون الدماء المسلمة المغلوبة على أمرها من عملاء الإنجليز في الجانب الآخر.

في هذا الوقت نفسه كان الملك عبد العزيز يراقب الله في تحركاته وهو يتصدى لبناء أمة من جديد بناءً عقدياً وعملياً، ماذا فعل يوم اضطر إلى الاصطدام بجنود الدولة العثمانية؟

تورط سامي باشا الفاروقي قائد الجيش التركي في القصيم فخيره الملك عبد العزيز بين أمرين:

إما أن يرحل بجيشه خلال خمسة أيام إلى السر... وإما أن يتولى هو - ابن سعود - ترحيل الجيش... ورضي الباشا بالأمر الثاني، فضمن ابن سعود سلامة الفريقين... ورحل فريق العراق على ركائب ابن سعود أمنين شاكرين، وبعد شهرين أرسل السلطان عبد الحميد يشكر "الأمير الخطير، والزعيم الكبير عبد العزيز باشا سعود" على معاملته عساكر الدولة تلك المعاملة الشريفة، ويسأله أن يرسل وفداً من رجاله إلى الأستانه، فأرسل ثلاثة نزلوا ضيوفاً على الحضرة الشاهانية، ومنحوا ألقاب "الباشوية" والنياشين[٧٤].

وفي عام 1331هـ - 1913م قرر الملك عبد العزيز أن يسترد الأحساء وأن يهاجم الكوت (القلعة) وتقدم بستمائة من رجاله في الهزيع الأول من الليل وكانت وصيته لجنده "لا تدخلوا البيوت ولا تقتربوا من النساء" وعند الفجر وقد أقبل الناس على عبد العزيز مرحبين ولجأ الجند إلى الحصون أرسل إليهم الملك عبد العزيز أن يسلموا فيؤمنهم ويرحلهم إلى بلادهم، وقبل القائد والمتصرف وسلمت الحامية وكانت 1200 جندي فأذن لهم عبد العزيز بحمل سلاحهم.. وقال لا ننزع من الجندي العثماني سلاحه... وأمر بالركائب فرحلهم وعيالهم إلى العقير، وأرسل معهم أحمد بن ثنيان يخفرهم ويؤمن طريقهم[٧٥].

موقف وسلوك أملته القيم والأخلاق التي كان تربى الملك عبد العزيز عليها وإنك لترى العجب حين تقارن بين مواقف الملك عبد العزيز وتلك المواقف التي حصلت من غيره في البلاد العربية ممن يزعم الإسلام والله المستعان.

وتتكرر المواقف التي يظهر فيه تقى الملك عبد العزيز وخوفه من الله فبعد أسبوع من معركة تربه وصل الملك عبد العزيز إلى الموقع ولم يعلم بالمعركة إلا بعد يومين أو ثلاثة أيام من وقوعها فلما رأى جثث القتلى كالتلال ترقرق الدمع في عينيه وبكاهم[٧٦].

ويوم لقي ربه رحمه الله لم يخلف سوى " 300" جنيه ذهباً وزعت صدقة عليه [٧٧] ولكنه خلف ملكاً عظيماً وسمعة سجلها التاريخ بأحرف من نور وسيلقى أجره العظيم عند ربه إن شاء الله جنات ونعيم.

---

٧١ الوجيز (158 159) .
٧٢ الوجيز (169 170) .
٧٣ الوجيز (79) .
٧٤ الوجيز (45) .
٧٥ الوجيز (57،58) .
٧٦ الوجيز (82) .
٧٧ شبه الجزيرة 920/3 .

تابع الدين . والشرف . والمروءة في حسِّ الملك عبد العزيز رحمه الله

العنصر الخامس: التجرد العظيم تجاه إغراءات الجاه والسلطان

في كلمة ألقاها بمكة عام 1356 هـ يقول: إن الحياة المجردة عن الدين، والزاخرة بأنواع القوة ليست حياة، كذلك عظمة الملك وجبروته ليست بالحياة، وإنما الحياة الدين والتمسك به وإقامة حدود الله، فالحياة التي تسير على أساس الدين هي القوة، أما الحياة التي تسير على غير الدين فهي كالمطر الذي يقع على السبخة فلا يجدي ولا يثمر١.

ويقول في الكلمة التي ألقاها جلالته في حفل تكريم كبار الحجاج 1351/12/5هـ: "يقولون إنني أطلب أن أصير خليفة على المسلمين. أنا ما ادعيت هذا ولا طالبت به، لأن على الخليفة واجباً هو تنفيذ أوامر الدين على كل فرد من أفراد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فهل هناك من رجل يستطيع أن ينفذ ذلك على المسلمين في هذه الأيام"٢.

ويقول عنه حفيده عبد الله الفيصل: "حارب الملك عبد العزيز فكرة تلقيبه بخليفة المسلمين، وهو أجدر بها من كثير ممن سعوا إليها. ولم يغره المال، وبهارج الحياة ولم يستطع ما هيأه الله على يديه من خيرات الدنيا أن يغير ما في نفسه: أو على الأقل أن يغير ملبسه أو مأكله، من بدايته إلى أن قبض الله روحه، الملك عبد العزيز لم يخلف قصراً ولا مزرعة ولا ثروة ولم يرث أحد من أبنائه شيئا"٣.

وتتحدث عنه مجلة "لايف الأمريكية" فتقول: "كان الملك عبد العزيز بن سعود في طريقه إلى مكة لأداء فريضة الحج على عادته كل سنة، وفجأة انفجرت إحدى عجلات سيارته "البكار" فجلس على الرمال ريثما يتم إصلاحها، ومرَّ به راع يركب جملاً، وسأله عما إذا كان الملك قد مرَّ أمامه فقال الملك: ولماذا تريده؟ قال سمعت أنه في طريقه إلى مكة، قلت لعله يمنحني شيئاً من النقود أستطيع أنا كذلك أن أحج بها ففتح الملك حقيبة الجنيهات الذهبية التي يحتفظ بها دائماً إلى جواره، وملأ يده بقطع منها وقدمها إلى الراعي، فذهل الأخير وحدّق في الجنيهات الذهبية ثم في الملك وقال شكراً لك يا عبد العزيز لم أميز وجهك ولكني عرفتك من كرمك، وليست هذه المقابلة بالشيء الجديد على الملك ولا على رعيته فإن بادية الجزيرة العربية لما كانت خلواً من المطابع والسينما فقد ظل وجه ابن سعود غير معروف عند عامة الشعب.

ومع أن الأعرابي دعا الملك باسمه الأول فإنه لم يتعد في ذلك التقاليد فابن سعود ليس في حاجة إلى مظاهر التشريفات، والرسميات التي تتبع في بعض الممالك الدستورية حيث تخفى السيطرة الحقيقة لأنه وهو العاهل الكبير يجمع بين العمل كرئيس وحاكم عام، ورئيس وزراء، ووزير مالية، ورئيس ديني وقائد عام وهو يسمح للجميع بمقابلته فيستقبل كل يوم عدداً كبيراً من أتباعه في قصره بالرياض"٤.

وفي حديث له موجه لبعض أبناء قطر عربي يقول: "إن التفرق لا ينبغي أن يكون بين العرب فيجب علينا الإتحاد، والتضامن، وإزالة الفوارق بيننا، ويجب أن نعدل ونحكم بالعدل يقتضي أن نترك الأهواء، ولا نهتم بالكراسي الكراسي أذهبتكم أيها الناس فما معنى الحرص على الكرسي وهو مزعزع"٥.

وفي كلمته التي ألقاها في المؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة في 1344/11/20هـ يقول: "إننا آل سعود لسنا ملوكاً مستبدين، ولا حكاماً شخصيين بل نحن في بلادنا مقيدون بأحكام الشرع ورأي أهل الحل والعقد"٦.

وفي القصر الملكي بمكة في ذي الحجة 1347هـ ألقى كلمة جاء فيها: "... والله إنني لا أحب الملك وأبهته، ولا أبغي إلا مرضاة الله والدعوة إلى التوحيد ليتعاهد المسلمون فيما بينهم على التمسك بذلك وليتفقوا فإنني أسير وقتئذ معهم لا بصفة ملك أو زعيم أو أمير بل بصفة خادم أسير معهم أنا وأسرتي وجيشي وبنو قومي والله على ما أقول شهيد وهو خير الشاهدين"٧.

وفي حفل تكريم أقيم على شرف جلالته بمكة 1348هـ ألقى كلمة مما جاء فيها قوله: "لست ممن يفخرون بألقاب الملك ولا بأبهته، ولست ممن يولعون بالألقاب ويركضون وراءها وإنما نحن نفتخر بالدين الإسلامي.."٨

ويقول أحمد الجابر الصباح 1926م عن جلالة الملك عبد العزيز: "من نعم الله على الجزيرة أن يحكم فيها ملك عظيم الشأن كالملك عبد العزيز، عرفته وصحبته من خمسة وثلاثين عاماً قبل أن يلي الحكم، وبعد أن وليه فما غرَّه الحكم ولا فتنة التاج والسلطان وما برح الفارس الشجاع، والقاضي العادل، والسياسي المحنك"٩.

---

١ المصحف والسيف (111).
٢ المصحف والسيف (85).
٣ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (914/3).
٤ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (1126/3).
٥ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (1237/3).
٦ المصحف والسيف (50).
٧ المصحف والسيف (56).
٨ المصحف والسيف (62).
٩ الوجيز (195).

ويقول عن نفسه رحمه الله: "لست ملكاً بمشيئة أجنبية بل أنا ملك بمشيئة الله ثم بمشيئة العرب الذين اختاروني وبايعوني، على أنها ألقاب وأسماء فما أنا إلا عبد العزيز قال العرب إنني ملك فرضيت قولهم وشكرت ثقتهم، وفي اليوم الذي لا يريدونني زعيماً لهم أعود إلى الصف وأحارب معهم بسيفي، كأصغر واحد فيهم دون أن ينال نفسي شيء من الغضاضة"١٠.

ويتعلق في الهزيع الأخير من الليل عند صلاة الفجر بأستار الكعبة داعياً بقوله: "اللهم إن كان في هذا الملك خير لي وللمسلمين فأبقه لي ولأولادي، وإن كان فيه شر لي وللمسلمين فانزعه مني ومن أولادي".

ثقة بالنفس، وسلامة في التوجه، وإخلاص لله أثمر هذا الدعاء العظيم وحقق إنجازا رائعاً. نسأل الله أن يديم سير القافلة على ما يرضيه.

العنصر السادس: الشُّعور الدَّائم بالمسؤوليَّة تجاه الدِّين، والأمَّة، والوطن

إن من السمات البارزة للوالي المسلم هو شعوره بالمسؤلية الخطيرة الملقاة على عاتقه، وأن تلك مسؤولية تكليف لا تشريف فهو مسؤول مسؤولية كاملة أمام الله ثم أمام التاريخ عن دينه وأمته ووطنه، وقد ضرب الخلفاء الراشدون، والولاة المصلحون من المسلمين أروع الأمثلة في تحمل مسؤولياتهم على خير وجه، والملك عبد العزيز رحمه الله ليس بدعاً في هذا فهو خير خلف يقتفي أثر سلف صالح من الخلفاء، والملوك، والولاة المسلمين، ومن أقربهم إليه أباؤه وأجداده من الأسرة السعودية.

يقول في خطبة له رحمه الله: "يعلم الله أن كل جارحة من جوارح الشعب تؤلمني وكل أذى يمسها يؤذيني وكذلك الشعب يتألم إذا أصابني شيء، ولكن المصلحة العامة تضطرني لأن أقضي على من لا يصغي للنصح والإرشاد، وبأن أتجرع ألم ذلك حفظاً لسلامة المجموع إنني أتألم جد الألم إذا رأيت بعض الأشخاص يشذون عن الطريق السوي فيصغون لوساوس الشيطان ومما لاشك فيه أن المصلحة العامة هي فوق كل مصلحة ولذلك فإن مصلحة المسلمين ترخص الأنفس في بعض الأوقات فالله أسأل أن يهدي المسلمين إلى سواء السبيل، وأن يجعل كلمته هي العليا"١١.

ويقول في كلمة له أيضاً: إن الله أمرنا أن ننظر في كل أمر من أمورنا، وألا ندخر جهداً في المحافظة على كياننا قال تعالى:**{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}**١٢ ١٣.

وفي الجلسة الافتتاحية لمجلس الشورى في دورة جديدة سنة 1349هـ قال:

"ولا أحتاج في هذا الموقف أن أذكركم بأن هذا البلد المقدس يتطلب النظر فيما يحفظ حقوق أهله وما يؤمن الراحة لحجاج بيت الله الحرام، ولذلك فإنكم تتحملون مسؤولية عظيمة إزاء ما يعرض عليكم من النظم والمشاريع سواء كانت تتعلق بالبلاد أو بوفود الحجاج من حيث اتخاذ النظم التي تحفظ راحتهم واطمئنانهم في هذا البلد المقدس وإني أسأل الله لكم التوفيق في سائر أعمالكم"١٤.

ومما هم الملك عبد العزيز رحمه الله كثيراً شأن المقدسات الإسلامية فعمل على تطهيرها وحمايتها وتأمين الطريق إليها يقول في كلمة له موجهة إلى وفود المؤتمر الإسلامي المنعقد بمكة سنة 1344هـ: "وقد تولت أمر الحجاز دول كثيرة من خلفائها وسلاطينها مَنْ عنوا ضرباً من العناية ببعض شؤونه، ومنهم من أراد أن يحسن فأساء بجهله ومنهم من لم يبال بأمره البتة فتركوا الأمراء المتوكلين لإدارته بالفعل. فلما بلغ السيل الزبى، وثبت بالتشاور بين أهل الحل والعقد عندنا أنه يجب علينا شرعاً إنقاذ عهد الإسلام عزمنا على ذلك، وتوكلنا على الله في تنفيذه، وبذلنا أموالنا وأنفسنا في سبيله فأيدنا الله بنصره وطهرنا البلاد المقدسة كما عاهدنا الله ووعدنا المسلمين"١٥. هذا كلام صاحب الشأن الملك عبد العزيز وهو كلام مقتضب شأن الملك عبد العزيز رحمه الله في جعل الفعل أعظم وأوسع من القول - وهي دلالة واضحة على سلامة المنهج وصدق النية - فلنسمع لمفكر واسع الإطلاع صادق اللسان يهتم بأمر الإسلام والمسلمين وهو يتحدث عن هذا الإنجاز الذي تم في أرض الحجاز بصفة خاصة وقد تم في الجزيرة بصفة عامة ولله الحمد.

يقول الأمير شكيب أرسلان المتوفي سنة 1946م: "وحقيقة الحال هي أن تلك الفوضى لم تنشأ إلا عن إهمال العمل بقواعد الشرع الإسلامي، وعن إرخاء العنان لبعض الأمراء الذين كانوا يلون أمر الحجاز مدلين على الناس بما لهم من النسب النبوي الشريف الذي كان يحول بين سلاطين الإسلام وتشديد الوطأة عليهم، أو إرهاف الحد فيهم وقد كان هذا من خطل الرأي ومن التقصير في جانب الشرع فإن الشريعة الإسلامية لا تعرف نسباً ولا حسباً **{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ}** ١٦.

---

١٠ الوجيز (141).
١١ المصحف والسيف (58).
١٢ سورة الأنفال آية (60).
١٣ المصحف والسيف (62).
١٤ المصحف والسيف (64).
١٥ المصحف والسيف (49).
١٦ المؤمنون آية (101).

وإنَّ الله تعالى قد جعل التقوى فوق كل المناقب والمحاسن وقرر أن من قصر به عمله لم ينهض به نسبه..

ولهذا كان سلاطين الإسلام من وقت لآخر ينذرون من أمراء الحرمين من كانوا يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق، ولقد ذهب مثلاً ذلك الكتاب الذي كتبه أحد سلاطين مصر من المماليك إلى أحد أمراء مكة المكرمة وهو الذي يقول فيه: اعلم أن الحسنة في نفسها حسنة وهي من بيت النبوة أحسن والسيئة في نفسها سيئة وهي من بيت النبوة أسوأ وقد بلغنا أنك بدلت حرم الأمن الخيفة وأتيت ما يحمر له الوجه وتسود الصحيفة فإن وقفت عند حدك وإلا أغمدنا فيك سيف جدك..

ثم قال أرسلان: إلا أنه قد بقيت مع الأسف أحوال الحجاز غير مستوية وأعراب البادية يسطون على الحجاج وليس لداء معرّتهم علاج وكانت كل من الدولة العثمانية والدولة المصرية ترسل طوابير من الجند النِّظامي مصحوبة بالمدافع وسائر آلات القتال.

لأجل خفارة قوافل الحج، وتؤدي إلى زعماء القبائل الرواتب الوافرة وكل هذا لم يكن يمنع الأعراب، ومن لا يخاف الله... من تخطُّف الحجاج في كل فرصة تلوح لهم.

وكثيراً ما كانت قافلة الحج تضطر إلى الرجوع وقد فاتها الحج أو الزيارة بعد أن قصدوا ذلك من مكان سحيق، وتكلفوا بذل الأموال، وتجشموا مشاق الأسفار في البر والبحر، فكانوا يذوبون من الشوق على ما فاتهم، ويتحرقون من الوجد، ويبكون بصيب الدمع، والناس بأجمعهم يحوقلون، ويقولون: "ليس لها من دون الله كاشفة" ذاهبين إلى أن سطو الأعراب هؤلاء داء عضال لا تنفع فيه حيلة ولا وسيلة وقد عمت بهم البلوى وإلى الله المشتكى ١٧. وهكذا توالت القرون والحقب والناس على هذا الاعتقاد لا يتزحزحون عنه إلى أن آل أمر الحجاز إلى الملك عبد العزيز بن سعود منذ بضع عشرة سنة فلم تمض سنة واحدة حتى انقلب الحجاز من مسبعة تزأر فيها الضواري في كل يوم بل في كل ساعة إلى مهد أمان وقرارة اطمئنان، ينام فيها الأنام بملء الأجفان، ولا يخشون سطوة عاد ولا غارة حاضر ولا باد، وكأن أولئك الأعراب الذين روعوا الحجيج مدة قرون وأحقاب لم يكونوا في الدنيا، وكأن هاتيك الذئاب الطلس تحولت إلى حملان فلا نهب ولا سلب ولا قتل ولا ضرب، ولو شاءت الفتاة البكر الآن أن تذهب من مكة إلى المدينة أو من المدينة إلى مكة أو إلى أي جهة من المملكة العربية السعودية وهي حاملة الذهب والألماس والياقوت، والزمرد ما تجرأ أحد أن يسألها عما معها.

ما من يوم إلا وتحمل فيه إلى دوائر الشرطة لقط متعددة ويؤتى بضوال فقدها أصحابها في الطرق وأكثر من يأتي بها الأعراب أنفسهم خدمة للأمن العام.

وإبعاداً للشبهة عنهم، وعن ذويهم فسبحان محول الأحوال ومقلب القلوب والله لا يوجد في هذا العصر أمن يفوق أمن الحجاز لا في الشرق ولا في الغرب ولا في أوربا ولا في أمريكا، وقد تمنى المستر كراين الأمريكي صديق العرب الشهير في إحدى خطبه أن يكون في وطنه أمريكا الأمن الذي رآه في الحجاز واليمن.

وكل من سكن أوربة وعرف الحجاز في هذه الأيام يحكم بأن الأمنة على الأرواح والأعراض والأموال في البقاع المقدسة هي أكمل وأشمل وأوثق أوتاداً وأشد أطناباً منها في الممالك الأوربية والأمريكية. فها هو ذا ابن سعود قد ضبطها بأجمعها في مملكته الواسعة، ومحا أثر الغارات والثَّارات بين القبائل، وأصبح كل إنسان يقدر أن يجوب الصحاري وهو أعزل، ويدخل أرض كل قبيلة دون أن يعترضه معترض، أو يسأله إلى أين هو غاد أو رائح، ولو قيل لبشر إن بلاداً كان ذلك شأنها من الفزع والهول وسفك الدماء وقطع الطرق قد مرد أهلها على هذا البغي وهذا العدوان من سالف الأزمان، وأنه يليها ابن سعود فلا تمضي على ولايته لها سنة واحدة حتى يطهرها تطهيراً ويملأها أمناً وطمأنينة لظن السامع أنه يسمع أحلاماً أو خرافات أو اتهم القائل في صحة عقله.

ولكن هذا قد صار حقيقة كلية وقضية واقعية في وقت قصير، وما أوجده إلا همة عالية، وعزيمة صادقة، وإيمان بالله، وثقة بالنفس، وعلم بأن الله تعالى مؤيد من أيده، ناصر من نصره، يحث على العمل، ويكافئ العامل، ويكره اليأس، ويقول لعباده **{وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إلاَّ الضَّالُّونَ}**١٨.

وقد سرت بشرى الأمان الذي شمل البلاد المقدسة الحجازية فعمت أقطار الإسلام وأثلجت صدور أبنائه وارتفعت عن الحجاز تلك المعرة التي طالما وجم لها المسلمون وذلك بقوة إرادة الملك عبد العزيز بن سعود والتزامه حدود الشرع١٩.

---

١٧ إن المتتبع لهذه المشكلة في كتب التاريخ يجد ما يندى له الجبين، ويتساءل وهو يقرأ ذلك أيمكن أن يصل الإنسان إلى هذا المستوى من الظلم والعدوان والوحشية؟ وخاصة مع أناس يدينون بدينه، وجاءوا متلبسين بنسك عظيم هو أحد أركان الإسلام الخمسة؛ لكن يزول العجب وتنجلي الحقيقة إذا تذكرنا أن البشرية لا يصلحها إلا شرع الله الذي خلقها وشرع لها ما يضمن لها حياة حرة كريمة، ومتى حادت عن منهج الله ضلت وهلكت. وكانت كما وصفها الله **{إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْ0عَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً}** الفرقان آية (44).

١٨ الحجر آية 56.

١٩ لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم (164 168).

ويقول الملك عبد العزيز رحمه الله أمام المؤتمر الوطني: "إن التقصير واقع وأنا مسؤول عن هذا التقصير ولا أستطيع أن أهمل هذا الأمر، وقد كلفت بالبحث فيه حيناً هيئة الشورى، وحيناً هيئة التحقيق، ولكننا لم نصل إلى نتيجة حاسمة فيجب أن تنظروا في هذه الأمور"٢٠.

وفي خطابه أمام كبار الحجاج عام 1350هـ يقول: "لقد اجتمعنا اليوم في أفضل البقاع على دين الإسلام، نتذاكر في طاعة الله تعالى، التي لا قوام إلا بها فالملتبس عليه الأمر نفهمه، وصاحب النصيحة يبديها، والمعاند يكفينا الله سوءه ولا يهمنا أمره، وإذا الذي كان بيني وبين الله عامراً فعسى الذي بيني وبين العالمين خراب، ونحن بشر لا نخلد ولا نبقى، وقد مضى صفوة الخلق، ومضى أصحابه بعده ولكن الإنسان يعمل جهده فيما يصلح به الحال ويكشف به الغطاء"٢١.

وفي خطاب له أيضاً يقول: "... ونحن نعاهد الله، ونقسم أمامكم على ذلك أننا لن نتنكب الطريق السوي مهما تحملنا من المتاعب والمشاق، فإن الذي يجمع شملنا، ويوحد بيننا هو أمر صغير في حد ذاته، ولكنه كبير وعظيم، وهو الالتفاف حول كلمة التوحيد، والعمل بما أمر به الله ورسوله٢٢.

وفي كلمة له يقول رحمه الله: "أنا لا أحب أن أشق على الناس، ولكن الواجب يقضي بأن أصارحكم.. إننا في أشد الحاجة إلى الاجتماع، والاتصال بكم لتكونوا على علم تام بما عندنا، ونكون على علم تام بما عندكم.. وأود أن يكون هذا الاتصال مباشرة، وفي مجلسي لتحملوا إلينا مطالب شعبنا ورغباته وتحملوا إلى الشعب أعمالنا ونوايانا.. إنِّي أود أن يكون اتصالي بالشعب وثيقاً دائماً لأن هذا أدعى لتنفيذ رغبات الشعب... لذلك سيكون مجلسي مفتوحاً لحضور من يريد الحضور... وفي حالة غيابي سيكون مجلس نائبنا مفتوحاً لهذه الغاية بدلاً من مجلسنا سواء كان في مكة أو في الطائف وإذا كان في هذا مشقة على الناس إلا أن فيه مصلحة لا تخفى عليكم.

أنا أود الاجتماع بكم دائماً لأكون على اتصال تام بمطالب شعبنا، وهذه غايتي من وراء هذا الاتصال، نسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير لهذا الوطن العزيز"٢٣.

ويؤكد رحمه الله على الرعية أن ترفع لجلالته أي مظلمة تقع عليها فيعلق على باب المسجد النبوي الشريف الإعلان التالي: من عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن سعود إلى شعب الجزيرة العربية "على كل فرد من رعيتنا يحس أن ظلماً وقع عليه أن يتقدم إلينا بالشكوى، وعلى كل من يتقدم بالشكوى أن يبعث بها بطريق البرق أو البريد المجاني على نفقتنا، وعلى كل موظف بالبريد أو البرق أن يتقبل الشكاوى من رعيتنا ولو كانت موجهة ضد أولادي أو أحفادي أو أهل بيتي، وليعلم كل موظف يحاول أن يُثني أحد أفراد الرَّعية عن تقديم شكواه - مهما تكن قيمتها - أو حاول التأثير عليه ليخفف من لهجتها أننا سنوقع عليه العقاب الشديد، لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم، ولا أريد أن يحملني الله وزر ظلم أحد أو عدم نجدة مظلوم أو استخلاص حق مهضوم. ألا قد بلغت اللهم فاشهد. عبد العزيز"٢٤.

ويروي حفيده الأمير عبد الله الفيصل أنه كان في يوم من الأيام بين كبار رجال الدولة من وزراء ومستشارين، وفجأة وجم وبكى بحرقة، وحين سأله أحد الشخصيات الكبيرة عن سبب ذلك قال بعد أن هدأ: "يا فلان أنت لا تعلم ما يبكيني. أنني فكرت في حال هذه الأمة ومصيرها، والله إن أحب ما إليّ أن أُدفن مع أولادي وبقية أسرتي وأنا مطمئن على الأمة في دينها ودمائها وأعراضها وأموالها لم يبكني غير ذلك"٢٥.

هكذا تكون النفس العامرة بالإيمان والخوف من الله حين تستشعر مسؤليتها أمام الله سبحانه المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ثم أمام الأمة والتاريخ وهو موقف تكرر ويتكرر عبر التاريخ الإسلامي من الخلفاء الراشدين والملوك العادلين.

ويقول الملك عبد العزيز رحمه الله أمام وفد بلد عربي كان يخضع وقتها للاستعمار: "... لقد قابلت روزفلت وتكلمت معه بشأن سورية، ولبنان، وفلسطين وفاتحني هو بشأن إصلاح بلادي بما تحتاج إليه من تحسين الزراعة ونشر المعارف وإصلاح حال الجيش فقلت له: إنني أحب العمل

---

٢٠ المصحف والسيف (68).
٢١ المصحف والسيف (75).
٢٢ المصحف والسيف (93).
٢٣ المصحف والسيف (102).
٢٤ المصحف والسيف (334) والوجيز (187).
٢٥ شبه الجزيرة 915/3.

للبلاد العربية كافة ليس لبلادي خاصة وليس لي مطالب من الأمريكيين سوى سورية، ولبنان، وفلسطين فوعدني بمساعدة العرب..

وختم جلالته الحديث قائلاً: " نحن جنود لخدمة الوطن العربي في كل بقعة من بقاعه، نشأنا على هذا، وسنظل على ذلك حتى ينال العرب استقلالهم جميعاً، أنا لا يهمني ترف الحياة فطالما تركت الغذاء أياماً وأنا أجاهد، والآن لا أزال مستعد أن آكل يوماً وأجوع يوماً لتعيش بلاد العرب جميعاً"٢٦ هكذا يقول رحمه الله.

---

٢٦ شبه الجزيرة 1238/3.

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

قوة هائلة واستعداد صادق لصرفها في مرضاة الله ثم في مصلحة المجموع دون إقليمية مقيتة أو عصبية قبلية.

وانظر الإحساس المرهف، وبعد النظر فيما يخافه على الأمة ومقومات قوتها، عرض عليه فيلم تعليمي عن حاملة طائرات أمريكية وعن دورها في الحرب فأعجب جلالته به ولكنه علق عليه قائلاً: "إني أشك في إمكان السماح لشعبي برؤية مثل هذه الأفلام المدهشة لأنها قد تقوي فيهم الميل إلى اللهو، وقد تصرفهم عن ذكر الله وعن واجباتهم الدينية"٢٧.

والملفت في الموضوع بعد نظر الملك عبد العزيز رحمه الله في ذلك الوقت المبكر قبل الثورة الإعلامية الحالية والتي تتطور بشكل مذهل، ونحن نجد اليوم وبعد حوالي مئة سنة من قول الملك عبد العزيز رحمه الله هذا دراسات متعددة حول سلبيات وسائل الإعلام وهو ما أشار إليه رحمه الله وخافه.

وانطلاقاً من استشعار الملك عبد العزيز رحمه الله لمسؤوليته العظيمة تجاه الدين، والأمة، والوطن. كانت المواقف الحاسمة التالية في مسائل مصيرية خطيرة.

يقول فلبي وهو يتحدث عن أهمية وجود طبيب في الرياض موجهاً حديثه للسلطات البريطانية: "... وبما أنه تقرر في وقت ما أن ممثلاً طبياً من البعثة الأمريكية في الخليج قد يسد تلك الثغرة ولا أقول شيئاً عن النزعة المؤكدة لتوسيع نشاط المبشرين (المنصرين) في جزيرة العرب في جانب سلطات التبشير فإني أرى من الضروري أن أحذّر الحكومة (البريطانية) بأن استخدام موظف طبي من ذلك المصدر لن يكون مقبولاً لدى ابن سعود ورعاياه وأنه يجب أن يبذل كل جهد لعدم تشجيع العمل الطبي في أرضه من قبل الموظفين في البعثة الأمريكية ومن واجب الإنصاف لابن سعود أن أوضح أنه وجه دعوة ودية للدكتور هاريسون أحد أعضاء تلك البعثة لزيارة الرياض لعمل طبي في صيف عام 1917م وأن خطأ ذلك الطبيب نفسه هو الذي أنهى عمله فجأة فلم يكن أبداً من الضروري أن تُغلّف الحبوب والمسحوقات بدعايات مسيحية"٢٨.

وفي مناقشات الملك عبد العزيز رحمه الله مع الرئيس الأمريكي "روزفلت" حول قضية فلسطين قال الملك عبد العزيز:"إن هناك جيشاً إسرائيلياً في فلسطين كامل التسليح يريدون به فيما يعتقد محاربة العرب لا محاربة الألمان".

وأوضح الملك عبد العزيز "أن العالم العربي لن يسمح لليهود بأي توسع آخر في فلسطين للتوطن في المستقبل، وأن العرب سيحملون السلاح قبل أن يوافقوا على هذا الأمر وأن دينه يوجب عليه العمل معهم في فلسطين وحولها".

وصرح الملك عبد العزيز بأن العرب واليهود لا يمكن أن يتعاون بعضهم مع بعض لا في فلسطين ولا في أي بلد آخر، واسترعى جلالته الانتباه إلى تهديد حياة العرب، وتفاقم الأزمة الناتجة عن استمرار الهجرة اليهودية، وشراء اليهود الأراضي العربية وزاد على ما تقدم: "إن العرب يختارون الموت على أن يسلموا بلادهم لليهود..."٢٩

وفي نفس المسار يلقن الملك عبد العزيز رحمه الله - انطلاقاً من شعوره بمسئوليته تجاه دينه وأمته ووطنه - أس الغدر والخيانة وسليل مبتاعي الذمم، والنفوس المريضة درساً في العزة والإباء والكرامة أوقفه عند حده، وعرفه قدره وجعله يفر وله ضراط، ذاك هو الدكتور "وايزمن" صاحب المؤامرات، الذي سلك كل السبل القذرة لإقامة الكيان اليهودي في قلب العالم وفي موقع استراتيجي سيظل بؤرة الفساد إلى أن يأذن الله بزواله وهو أمر حاصل لا محالة.

وقد أورد الزركلي رد الملك عبد العزيز رحمه الله على الرئيس الأمريكي في هذا الموضوع ونصه: "وأما ما ذكر فخامته من جهة مقابلتي للدكتور حاييم وايزمن فأحب أن يعلم فخامة الرئيس بأننا نقابل كل من يأتي إلينا من جميع الأديان بكل ترحاب مع القيام بالواجب لهم حسبما يقتضيه مقامهم من الإكرام، أما اليهود بصورة خاصة فلا يخفى على الرئيس ما بيننا وبينهم من عداوة سابقة ولاحقة وهي معلومة ومذكورة في كتبنا التي بين أيدينا ومتأصلة من أول الزمان، فمن هذا يظهر جلياً أننا لا نأمن غدر اليهود، ولا يمكننا البحث معهم أو الوثوق بوعودهم.

أولاً: لأننا نعرف نواياهم نحو العرب والمسلمين.

وثانياً: لأننا لم نتصل بالعرب لنعرف رأيهم.

وكما ذكرنا فيما تقدم إذا رغب فخامته أن تقوم باستمزاجهم واستطلاع رأيهم فنحن نقوم بتحقيق تلك الرغبة حينئذ.

"أما الشخص الذي هو الدكتور "وايزمن" فهذا الشخص بيني وبينه عداوة خاصة، وذلك لما قام به نحو شخصي من جرأة مجرمة بتوجيهه إليّ من دون جميع العرب والإسلام تكليفاً دنيئاً لأكون خائناً لديني وبلادي، الأمر الذي يزيد البغض له ولمن ينتسب إليه وهذا التكليف قد حدث في أول سنة من هذه الحرب، إذ أرسل إليّ شخصاً أوربياً معروفاً يكلفني أن أترك مسألة فلسطين، وتأييد حقوق العرب والمسلمين فيها، ويسلم إليّ عشرين مليون جنيه مقابل ذلك. وأن يكون هذا المبلغ مكفولاً من طرف فخامة الرئيس روزفلت نفسه، فهل من جرأة أو دناءة أكبر

---

٢٧ شبه الجزيرة 1176/3.

٢٨ بعثة إلى نجد (84).

٢٩ شبه الجزيرة 1164/3 1165.

من هذه؟ وهل من جريمة أكبر من هذه الجريمة يتجرأ عليها هذا الشخص بمثل هذا التكليف ويجعل فخامة الرئيس كفيلاً لمثل هذا العمل الوضيع!!

" إني لا أشك بأن فخامة الرئيس روزفلت لا يقبل هذا لا في حقي ولا في حقه فهذه من جملة الأسباب التي أريد أن تعرضوها على فخامة الرئيس حتى يرى إلى أي حد يتجرأ اليهود للوصول إلى غايتهم الباطلة، وينظر برأيه السديد في هذه الأعمال التي يغني بيانها عن وصفها"٣٠.

هكذا يُشخِّص الملك عبد العزيز رحمه الله هذا الداء العضال، وهو تشخيص ينمُّ عن وعي تام وفراسة إيمانية عجيبة، فقد جاءت كل الأحداث والدراسات والأبحاث تؤيد هذا التشخيص، وليت العالم يعي نصح الناصحين وإنذار المخلصين٣١.

العنصر السابع: الفقه في الدّين، والثقافة الواسعة، والوعي بقضايا العصر

لقد تصدى الملك عبد العزيز رحمه الله لبناء دولة، وإحياء أمة، وتعامل مع العالم العربي، والإسلامي، والدولي، وحالفه النجاح في ذلك كله رغم التحديات الكبيرة التي واجهها، وكان من أهم عوامل النجاح الذي حققه ما كان يتمتع به من فقه في الدين، وثقافة واسعة، ووعي بمجريات العصر، وفي الأقوال التالية ما يؤكد ذلك، وهي جزء من كل، وقليل من كثير:

فهو فقيه في الدين، على دراية كاملة بما هو دين حق، وبما هو خارج عن فقه الكتاب والسنة أو عما ذهب إليه فقهاء الأمة المعتبرون، يؤمن بأن سلامة الأمة في السير على هدي الكتاب والسنة، ويدعوها إلى فهم ذلك، والعمل به والتحاكم عند الاختلاف إليه.

يقول في كلمة له: "الإسلام معناه الاستسلام لله تعالى، والطاعة له، والإيمان بكتابه ورسوله، وقواعدُ الإسلام قائمةٌ على كتاب الله، وسنة رسوله، وأعمال الخلفاء الراشدين وما اتفق عليه الصحابة الكرام وما جاء به فيما بعد الأئمة الأربعة فهي حق لا نحيد عنه قط... ومن المسائل التي يجب أن نعمل بها في هذا الشأن، وتعد في طليعة خدمة الدين الحنيف هي تطهير الإسلام من أدران الخلافات التي علقت بالدين، وهو بريء منها وإنما ألصقها فيه أناس نفعيون يبتغون من وراء ذلك النفع المادي.

... ورابطة الإسلام هي خير واسطة للتآلف، والتعارف، فالواجب علينا أن نتمسك به، وأن نعمل بما أمرنا به لننال الفوز في الدنيا والآخرة.

يقولون "الحرية". ويدعى البعض أنها من وضع الأوربيين، والحقيقة أن القرآن الكريم قد جاء بالحرية التامة الكافلة لحقوق الناس جميعاً وجاء بالإخاء "والمساواة" المطلقة التي لم تحلم بها أمة من الأمم فآخى بين الصغير والكبير، والقوي والضعيف، والغني والفقير، وساوى بينهم.

ويقولون "التمدن" "والمدنية الأوربية" هي الغاية القصوى، وهذا وهم باطل فإن الله جعل من كل شيء أفضله مباحاً لنا، وأحب شيء إلينا هو العمل الخالص، والنية الحسنة، والإخلاص في العمل وهو أكبر سلاح لنا فيجب أن نعمل على طاعة الله بإخلاص٣٢.

وفي المؤتمر الوطني سنة 1350هـ يقول: " إن الناس الذين لا نشك أن الله عالم بقلوبهم وأنهم أعداء بعضهم البعض، كما قال الله تعالى: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}٣٣ قد بلغوا بالشورى مراتب عالية في الدنيا ونحن المسلمين أمرنا الله تعالى بالمشورة، والمشورة لها أساس وهو النصح بالتزام الحق، ولها مزية ورونق تحصل بهما الفائدة، أما السير على غير مشورة فهو مجلبة للنقص، مجلبة للهوى - هوى النفس - ونحن نريد المشورة أن تجمع بين السنة وبين ما أمرنا الله به في قوله تعالى {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}٣٤.

وأعظم القوى التناصح والنية الصالحة لأن كل شيء أساسه الإخلاص والنصح هذا هو اجتهادنا في المسألة، ونسأله تعالى العناية والتوفيق وإصلاح النِّية وأن يوفقنا إلى ما فيه الخير والفلاح٣٥.

وعند استقباله أول دفعة من خريجي المعهد العلمي سنة 1350هـ ألقى فيهم كلمة توجيهية جاء فيها: "وأقول لكم والله ثم والله ثم والله ما حرمت الشريعة شيئاً فيه نفعنا ولا أحلت شيئاً فيه ضرنا وإن النظرة السليمة لتدرك ذلك.. انظروا إلى نعم الله هل فاضل في أحكامه بين غني وفقير؟... لا لا تفاضل إلا بالتقوى.. سوَّى بينكم وأكبر من شأنكم فأمر ألا تعبدوا إلا واحداً، ولا تخافوا إلا واحداً، ولا تسألوا إلا واحداً، ومعلوم أن أرباب النفوس العالية إذا كان لها عند ملك من الملوك حاجة تحب أن تدلي بحاجتها إلى الملك بلا واسطة، والله يأمر عباده أن يسألوه بلا واسطة ولاشك في أن هذا - أي عدم الواسطة - تكريم لك أيها الإنسان"٣٦.

---

٣٠ شبه الجزيرة 1142/3.

٣١ انظر الحاشية رقم (35) و"التلمود تاريخه وتعاليمه" "إيللي كوهين من جديد" و"الرؤية العربية لليهودية"، و"أسرار إسرائيل وحقيقتها عشرة كتب.." و"التحدي الصهيوني" و"سقوط الجولان" ومجلة البعث الإسلامي عدد (10) (ص75)، جذور البلاء.

٣٢ المصحف والسيف (61،62).

٣٣ سورة الحشر آية (14).

٣٤ سورة الأنفال آية (60).

٣٥ المصحف والسيف (66).

٣٦ المصحف والسيف (71 - 72).

وفي كلمة له يقول: "أتعرفون ما دمّر الدين وأكثر الفتن بين المسلمين؟.. لم يكن ذلك إلا من اختلاف المسلمين وعدم اتفاق كلمتهم.. وإذا أعدنا النظر إلى أيام الإسلام الأولى وما افتتحوا من أقطار وما كسروا من أصنام، وما نالوا من خير عميم.. نجد أن هذا كله ما حصل إلا باجتماع الكلمة على الدين، والإخلاص في العمل، والخلوص في النية. المسلمون منّ الله عليهم بالإسلام واجتماع الكلمة، ولكن لما تفرقوا انخذلوا وسلط الله أعداءهم عليهم، وإذا رجع المسلمون إلى تعاضدهم، وتكاتفهم رجع إليهم عزهم ومجدهم السالف، وقد قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}** ٣٧ والقضاء كائن لا محالة ولما تناصح المسلمون بلغوا أوج السماء، ولما تخالفوا كانوا بهذا الشكل الذي نأسف له، والنفس أمارة بالسوء، ولربما أن أحد الناس عرف ذلك وضيعه، والثاني عرف الدين وعمل به وعلم الله ما بقلبه فجعل العقبى خيراً له.

المسلمون اليوم قائمون من نوم وغفلة فيجب عليهم أخذ سلاحهم والسلاح سلاحان.. أما سلاح العدة من طيارات وما إليها فهذا ما لا يستطيع المسلمون أن يستحوذوا على مقادير منها بقدر ما استحوذ عليه أعداؤهم إلا أن يشاء الله.

أما السلاح الثاني - وهو الأعظم - فالذي أوصي به نفسي، وأوصيكم به، وهو التقوى والاعتصام بحبل الله جميعاً، فإذا علمتم ذلك نلتم العزة في الدنيا، والعفو في الآخرة، ورحمة الله وسعت كل شيء، ولا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها وكل طريق غير ذلك لا يفيد"٣٨.

وفي كلمة له أمام كبار رجال الدولة سنة 1351هـ في الطائف يقول: "إني أريد أن أوضح لكم ما في ضميري، فإن كان صواباً فمن الله، وإن خطأ فمن نفسي والشيطان، والإنسان ينظر للأمور بقدر معرفته لها، فمنهم من يتحققها ببصيرة تامة ونظر ثاقب، ومنهم من يبصرها ولا يتدبرها، ومنهم من لا يبصرها ولا يعرفها. أمّا نحن فلا عز لنا إلا بالإسلام ولا سلاح لنا إلا التمسك به وإذا حافظنا عليه حافظنا على عزنا وسلاحنا، وإذا أضعناه ضيعنا أنفسنا وبؤنا بغضب من الله.. وأما الأمور العصرية التي تعنينا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذها ونعمل بها ونسعى في تعميمها، أما المنافي منها للإسلام فإننا ننبذه ونسعى جهدنا في مقاومته، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام ولا عز لنا إلا التمسك به"٣٩.

وفي كلمة له رحمه الله سنة 1351هـ يقول: "لقد تفشّى الجهل، وساد التخاذل بين المسلمين، فوصلنا إلى ما وصلنا إليه من الحالة الراهنة التي تعرفونها، ولم يبق من الدين إلا اسمه، وتفرقنا أيدي سبأ، وأصبح المسلمون فرقاً وشيعاً.

أما أولئك الذين يطبلون ويزمرون لحضارة الغرب ومدنيته، ويريدون منا أن ننزل عندها، فنتمثلها في بلادنا وبين أقدامنا، فإننا نسوق إليهم الحديث بتوجيه أنظارهم إلى هذه الأزمة الخانقة، وإلى هذا التبلبل السياسي، وإلى هذه الفوضى الاجتماعية السائدة في تلك البلاد، فإنّ نظرة واحدة لمن يتدبر في هذه الأوضاع السائدة هذه الأيام تجعله يلمس فساد تلك النظريات المتسلطة على عقول السذّج من المسلمين والعرب.

أما المسائل الصناعية والزراعية فإن أوامر الله تعالى ونبيه صريحه بالأخذ بها وكذلك في أعمال رجال السلف الصالح أكبر دليل على العناية بها والأخذ بأسبابها ولذلك فالقول بأن الصناعة والزراعة هما من نتاج الحضارة الغربية وحدها ليس بصحيح وكذلك الطيارات، والدبابات، والمدافع، والأعتاد الحربية التي تدافع بها الأمم عن نفسها، وتذود بها عن حياضها هي من الأعمال الصناعية أيضاً، ومما أمر الله به صراحة فقال في كتابه العزيز: **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}** ٤٠.

ويقول رحمه الله في كلمة ألقاها عام 1352هـ أمام كبار الحجاج: "... فالنصح لله هو عبادته وحده لا شريك له، أما النصيحة لكتاب الله فهو التصديق بما فيه والعمل بحكمه، وأما النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم فهي الإيمان بجميع ما جاء به وطاعته في أمره ونهيه والتخلق بأخلاقه ومجانبة من ابتدع في سنته.. أما النصيحة لأئمة المسلمين فهي معاونتهم على الحق وطاعتهم، والدعاء بأن يوفقهم الله لما فيه خير المسلمين في الظاهر والباطن.. والنصيحة لعامة المسلمين هي أن المسلم لا يكون مسلماً حقاً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويعمل للناس ما يريد أن يعملوه معه.

فهذا علمنا، وهذا فهمنا، إن الخير كل الخير في طاعة الله ورسوله، والتأسي بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم فالله سبحانه وتعالى أرسل الرسول بشيراً ونذيراً ورحمة لهذه الأمة لذلك وجب على كل مسلم محبة رسول الله وأصحابه، والذب عنهم بالأقوال والأفعال..

رابطة الإسلام جامعة قوية ولكن المسلمين فرقهم التخاذل فتفرقوا شيعاً" ٤١.

وفي كلمة له سنة 1353هـ يقول: "... إن حبل الله عز وجل هو كلمة "لا إله إلا الله" إذ لا

---

٣٧ سورة الرعد آية (11).
٣٨ المصحف والسيف (111).
٣٩ المصحف والسيف (80).
٤٠ سورة الأنفال آية (60) وانظر المصحف والسيف (84).
٤١ المصحف والسيف (87،89).

معبود سواه فهو الأول والآخر، وعبادته باتباع ملة إبراهيم قال تعالى في كتابه العزيز: **{وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً}**٤٢، فمن واجب الإنسان أن يعمل بما أمر الله به، وأن يطيع مولاه صاحب النعمة عليه، ولا يكون ذلك إلا بالعمل بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد أرسل الله الرسل لهداية الأمم والشعوب، وإنقاذهم من الضلالة، وكانت هداية نبينا صلى الله عليه وسلم أن أرسله الله جلّ شأنه في أحسن القرون، وأن بعثه إلى أقدم الأمم، وقد أزال الله ببعث النبي الكريم الشُّبه والضلال فكانت بركة الله ثم بركة رسوله علينا عظيمة لا تعد ولا تحصى.

وقد أمرنا الله تعالى على لسان نبيه بأمور عظيمة الشأن لو عملنا بها لكان حالنا اليوم غير ما نرى. لقد جعل أركان الدين الحنيف خمسة وهي: ... فالله سبحانه وتعالى يأمرنا بالعمل بها مع الإخلاص النقي، والنية الحسنة، فإذا صدعنا بأوامره - جلُّ شأنه - كفّر عن ذنوبنا، وأولانا نعماءه، فإذا فهمنا ذلك وعلمنا أن الخير بحذافيره فيما أمرنا الله، وجبت علينا طاعته، وطاعته كما قلت هي الاعتصام بحبل الله، وذلك باجتماع المسلمين، وتعاضدهم، وتكاتفهم بأن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، ولكننا أضعنا أوقاتنا في شقشقة بدون فائدة، لقد تراشقنا بالكلام فتنابذنا، فكانت الفرقة هذه، وكان الهوان ولو تركنا هذه الأمور، التي لا طائل تحتها لكانت رحمة ربي علينا عظيمة يجب أن نعبد الله ونطيعه كي يوفقنا فعلى كل إنسان أن يحاسب نفسه فيتجنب المعاصي والمنكرات ويتبع أوامر الله عز وجل"٤٣.

وفي سنة 1354هـ وأمام كبار الحجاج يقول رحمه الله في كلمة عجيبة له تدل على فقه وفهم في الدين، وثقافة واسعة وتدل أيضاً - مع مثيلات كثيرات لها - على أن الملك عبد العزيز رحمه الله قد عمل على إعادة صياغة العقل المسلم بما يتفق مع الفهم الصحيح للدين، ومقتضيات العصر، وهو بهذا يكون قد سبق بزمن طويل أصحاب الطروحات التي تناولت هذا الموضوع أخيراً وهو موضوع لاشك مهم، والأمة في أمس الحاجة إليه.

يقول: "الإسلام شريعة سمحة لا غلو فيه، اختاره الله للمسلمين من بين الشرائع وفضّله على جميع الملل. دين الإسلام دين الإنسانية والسماحة، ولقد أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأشرف الكتب لخير الأمم، فكتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولقد أعز الله الإسلام بالسنة المحمدية فما في كتاب الله تؤيده السنة، وما في السنة يؤيده الكتاب.

والمسلم لا يكون إسلامه صحيحاً إلا إذا أخلص العبادة لله وحده، فيجب أن يتدبر المسلمون معنى (لا إله إلا الله) فإن (لا إله) نفي لكل معبود فيما سوى الله (إلا الله) إثبات العبادة لله وحده فيجب على الإنسان ألا يشرك مع الله في عبادته نبياً مرسلاً ولا ملكاً مقرباً ويجب أن يتبع المسلمون القول بالعمل... أما القول المجرد فلا يفيد، وما الفائدة في رجل يقول (لا إله إلا الله) ولكن يشرك مادون الله في عبادته... دين الله مكتوب في الكتاب والسنة فكل عمل اتفق مع الكتاب فهو الحق، وكل عمل خالف الكتاب والسنة فهو الباطل..

إن سورة الفاتحة التي يرددها المسلم في صلواته فيها ما لو تدبره المسلم لما كان يقول شيئاً ويعتقد خلافه، يجب على المسلم أن يتبع قوله بالعمل، وقراءة الكتاب والسنة بالاعتقاد الصحيح، أما الأقوال بغير الأعمال فهذه من صناعة الشيطان.

يجب أن يعتبر المسلمون من حالهم اليوم، فإنهم لم يصلوا إلى ما هم عليه الآن إلا من كثرة أقوالهم وعدم أعمالهم.

إن العمل هو أساس النجاح.. إن العقيدة الصحيحة هي أساس الفلاح يجب على المسلمين عموماً، والعرب خصوصاً أن يتدبروا الموقف ويرجعوا إلى ربهم ويحذروا مكره فإنه - جلّ وعلا - مدح مكره فقال: **{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}** ٤٤، ويجب على المسلمين أن يقلعوا عما هم فيه، فإذا فعلوا فسيغفر الله لهم... لقد غفر الله من أعمال عمر في الجاهلية حتى غدا الفاروق في الإسلام، وغفر لخالد بن الوليد حتى أصبح سيف الله في أرضه، إن العبرة بالنية الصادقة، فإذا صدق المسلمون في نيتهم فبشرهم برحمة من الله وفضل.. كثيراً ما تلوك ألسنة المسلمين **{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**٤٥ وهذا الكلام صحيح ولكن ألم يأتهم نبأ قوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}**٤٦ إن الله غفور رحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحاً، أما من يستمر في طغيانه، ويصر على كفره فسيناله عقاب ربه.. إنني أرجو من المسلمين أن يرجعوا إلى كتاب الله سنة رسوله.. وهذا هو ديننا... وهذا هو معتقدنا.. نقاتل من أراد أن ينال ديننا أو وطننا بأذى.

يقول كثير من المسلمين: "يجب أن نتقدم في مضمار المدنية والحضارة، وأنّ تأخرنا ناشئ عن عدم سيرنا في هذا الطريق" وهذا ادعاء باطل، فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيدنا ويقوينا على شرط ألا يفسد علينا عقائدنا وشيمتنا فإذا أردنا التقدم فيجب أن نتبع الإسلام وإلا كان الشر كل الشر في اتباع غيره.

---

٤٢ سورة النساء آية (125).

٤٣ المصحف والسيف 92.

٤٤ سورة آل عمران آية 54.

٤٥ تكرر ورودها في آيات كثيرة منها في سورة المزمل آية (20).

٤٦ تكرر ورودها في آيات كثيرة منها في سورة آل عمران آية (11).

إن المدنية الصحيحة هي التقدم، والرقي، والتقدم لا يكون إلا بالعلم والعمل، إن حالة المسلمين اليوم لا تسر، وإن الحالة التي هم عليها لا يقرها الإسلام يجب على المسلمين أن يتدبروا موقفهم جيداً ويعملوا لتطهير قلوبهم من الأدران التي علقت بها، فإن الموقف دقيق، والله ينصر من أراد نصرة دينه {وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}٤٧.

إن الفرقة أول التدهور والانخذال، بل هي العدو الأكبر للنفوس، والغاوية للبشر والإتحاد والتضامن أساس كل شيء، فيجب على المسلمين أن يحذروا التفرقة وأن يصلحوا ذات بينهم، ويبذلوا النصيحة قالوا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فهذا الحديث دستور أخلاقي عظيم من واجب كل مسلم العمل به لأن في اتباعه صلاحاً لأحوال المسلمين فيزدادون منعة، ونحن نحمد الله على أننا بدأنا نشعر بمثل هذه الروح السامية، تدبُّ في نفوس المسلمين، فيعملون على درء كل خطر، ومنع أسباب التخاذل، فنرجوه سبحانه وتعالى أن يمن علينا بالاتفاق والاتحاد فإن الله سبحانه وتعالى قد منّ على المسلمين بأوامر، ونواه، وفرض عليهم الفرائض ولم يأمر - جل وعلا - بأمر إلا وجعل الفوائد بحذافيرها فيه، ولم ينه عن شيء إلا وجعل الشر بحذافيره فيه، ومن أعظم الأوامر توحيد الله - جل وعلا - توحيداً منزهاً عن الشرك إن الله لم يجعل بينه وبين أحد من خلقه واسطة فهو يقول {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}٤٨.. إن الخير كله في الاجتماع، والشرَّ كله في التفرقة، فالاجتماع، والتضامن أساس كل عمل ومحور كل نهوض. نسأل الله أن يعز دينه، ويعلي كلمته، ويؤيد المسلمين بروح منه"٤٩.

وفي كلمة له في جدة عام 1355هـ لوجهاء المنطقة وأعيانها ألقى كلمة ضمنها شرحاً لأركان الإسلام الخمسة شرحاً يدل على فقه وفهم، وتناول قضايا أخرى أشير إليها في غير هذا المكان ومما جاء في هذه الكلمة قوله: "... كل هذه من نعم الإسلام أنعم الله بها على المسلمين، فيجب على الإنسان أن يتقبل نعم الله بالشكر، لأن الله ليس في حاجة إلى عبادتنا وصيامنا وجميع أمور ديننا بل هو غنيٌّ عن كل ذلك وعن العالمين٥٠.

وفي حج عام 1355هـ ألقى كلمة في حجاج الهند جاء فيها: "الحقيقة أن الإسلام هو اتباع كتاب الله تعالى، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقول تعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيما}٥١ {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}٥٢ وليس هناك شيء أجل من نعمة الإسلام على الإنسان فقد قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً}٥٣ فتمام النعمة هو كتاب الله تعالى الذي شرع به الإسلام، وأول ما يلزمنا من الإسلام هو كلمة الشهادتين، ومعنى الشهادة "لا إله إلا الله" أنها تفيد إثبات وحدانيته سبحانه وتعالى، ومعنى أن "محمداً رسول الله".. أن نحب الرسول صلى الله عليه وسلم ونصدقه ونؤمن به ونعمل بما قال، وكلام الرسول لا ينافي القرآن، والقرآن لا ينافي كلامه صلى الله عليه وسلم بل كل منهما يتمم الآخر.

والحقيقة أنه لا يوجد إنسان غير مذنب لأن العصمة لله وحده ولو لم تذنبوا لخلق الله عباداً يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم ولكن الذنوب على جملة درجات منها ما لا يمكن معه صفح أو غفران، وهي الشرك بالله، والكذب على رسول الله، وكل إنسان يرى أن هناك أية حجة أو قوة أخرى أقوى من الكتاب والسنة فقد فقد افترى على الله الكذب، والحمد لله الذي وفقنا - نحن المسلمين - إلى تفهم معنى شهادة أن "لا إله إلا الله" وهي تتضمن نفي معنى الشرك، وإثبات العبادة له سبحانه وتعالى ونهي لما نهانا عنه، وهو ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، تعالى الله عما يصفون، ونحمده تعالى على أنه جعل هذه الأحكام لطفاً منه بنا، والإنسان إذا كان مسلماً يضع لنفسه نظاماً يسير بمقتضاه، فما يخالف كتاب الله أو سنة رسوله فذلك هو الضلال المبين نعوذ بالله منه، ومن أعظم ما يثبت علينا ديننا هو تمسكنا بالشهادتين وبمعناهما الصحيح من إثبات العبودية لله، والإيمان بنبيه ورسوله الذي نجده أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وعيالنا ويجب أن نقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ما استطعنا إليه سبيلاً.

أما أحكام المذاهب فلسنا نخالفها في شيء وهي مذاهبنا جميعاً، من مذهب الحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنبلي، ومذهبنا هو اتباع الدليل حيث يكون، فإن فقد الدليل ولم يكن هناك إلا الاجتهاد اتبعنا ابن حنبل وما جاء في الكتاب والسنة، ونحب المسلمين جميعاً، ونرجوا لهم الخير والفلاح والسعادة، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويجمعنا على كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" إنه سميع قدير".

وفي نفس السنة وفي نفس المناسبة أمام الحجاج العرب يقول رحمه الله: "إن الله جعل للإنسان بصيرة يميز بها بين الحق والباطل، وقد أراه الطريق واضحاً، ومن فضل الله على الإنسان،

---

٤٧ سورة الروم آية (47).
٤٨ سورة غافر آية (60).
٤٩ المصحف والسيف (95 97).
٥٠ المصحف والسيف (102).
٥١ سورة النساء آية (65).
٥٢ سورة المائدة آية (44).
٥٣ سورة المائدة آية (3).

وهو فقير عاجز أن سلط عليه نفسه والشيطان وجعل في مقابلها الإنعام عليه بالقبول، والرجوع بحيث يفيء الإنسان إلى ربه ويمشي على الصراط المستقيم، وقد جعل الله في جوارح الإنسان طبيعة اقتراف الذنوب، وفي مقابل ذلك منّ الله عليه بنعمة التوبة والاستغفار، وهذا والحمد لله من عنايته ولطفه بالفقراء والمساكين"٥٤.

وفي سنة 1356هـ وفي حفل تكريمي للحجاج ألقى كلمة جاء فيها بعد أن شرح الفاتحة شرحاً عجيباً يدل على علم ووعي، قال: "فيجب أن نؤمن بكتاب الله وبمتشابهه، ونؤمن بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ومن الناس من يقول آمنا ولكنهم يسبون أهل بيته، ويسبون عمراً وعثمان وأصحابه، وكيف ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي" ولا نستطيع أن نفعل ذلك إلا باتباع سنة رسول الله، والسلف الصالح من الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم وجاهدوا في سبيل الله فكل إنسان لا يحب الله وكتابه ورسوله فهو ضال، والكلام في هذا يطول وأنا لست بعالم ولكن الحق برهان، والذي نمشي عليه هو طريق السلف الصالح، ونحن لا نكفر أحداً إلا من كفره الله ورسوله، وليس من مذهب سوى مذهب السلف الصالح ولا نؤيد بعض المذاهب على بعضها فأبو حنيفة، والشافعي، ومالك، وابن حنبل أئمتنا ومن وجدنا الحديث الصحيح معه اتبعناه، فإن لم يكن هناك نص، وإنما هو الاجتهاد في الفروع فنتبع اجتهاد أحمد بن حنبل والأصل كتاب الله وسنة رسوله لا نفضل أحداً على أحد ولا كبيراً على صغير **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}** ٥٥، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وهل يقبل العقل أن هناك من هو أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم، وأن هناك قبيلة أعز من قبيلة محمد صلى الله عليه وسلم وهي قريش، ولكن النسب لا يغني عن الإنسان شيئاً، ولولا ذلك ما عزّ سلمان الفارسي، وبلال، وما لعن أبو جهل وأبو لهب، والفضيلة في الدين والرجال، والعزة بالله لا بالحسب والنسب ... والتقى ليس مجرد السجود، ولكن بالتفرقة بين الحق والباطل، فالإنسان منكم حين يدخل السوق لمشتري متاعه كيف يفرق بين الطيب والخبيث؟.. فإذا كان يفعل ذلك في أغراضه البسيطة فيجب أن يفعله في بدنه ونفسه فما الإنسان إلا جيفة قذرة تحمل العذرة في عظام نخرة.

ومن قال "أشهد أن لا إله إلا الله" ولم يقل "وأشهد أن محمداً رسول الله" لا تقبل منه، وكل إنسان يدعو ولا يصلي على الرسول فهو ضال، وكل من لا يرجو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة، ومعنى طلب الشفاعة أن تقول يا رب محمد شفّع فينا رسولك محمداً، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وكلنا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يشفع فينا رسوله الكريم.

يقولون "التمدن" و"الحرية" وهل هناك أعظم من التمدن الذي ورد في كتاب الله من اتباع كل خير وتجنب كل شر؟ وهل هناك حرية أكثر من قوله صلى الله عليه وسلم "لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى".

أيها الإخوان:

إنكم قد أتيتم من بلاد بعيدة، وضربتم في البحر ترجون رحمة الله، وهي قريبة إذا رجوتموها، وهذا الخير والرحمة، وليس لكم عندي إلا ثلاثة أمور:

الأول: النصيحة فيما يوافق كتاب الله وسنة رسوله.

والثاني: أنّي أشفقُ عليكم من أهلكم وعيالكم، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منكم.

والثالث: أن أسهر على مصالحكم، وأرعى شؤونكم، نسأل الله أن ينصر دينه، ويعلي كلمته ويؤيد الإسلام، ويوفق المسلمين إلى ما يحبه ويرضاه"٥٦.

وألقى الملك عبد العزيز رحمه الله سنة 1359هـ كلمة في كبار الحجاج جاء فيها: "إن الأمر لله وما تشاءون إلا أن يشاء الله، والأيام كلها عبر للمعتبر، وعلى المسلمين أن يتفكروا في عبر الزمان، وانظروا كيف أن أوربا العظيمة بمدنيتها التي أقامتها أصبح ما أعدوه ضد مدنيتهم ولخرابها.

وهذا الموقف يسترعي الانتباه التام فإذا نظرنا للحال الواقع نرى أن دهاة أوربا ورجال سياستها بقوتهم وعقولهم ما تمكنوا أن يدفعوا الشر عن أنفسهم والشر لم يتول عنهم ذلك قضاء الله وقدره لم تنفع فيه حيل السياسة ولا نفعت المدنية إن كل إنسان يجب ألا يقف هذا الموقف وأن يكون في نجوة عن هذا النزاع لذلك يجب على المسلمين عامة والعرب خاصة أن يتمسكوا بعرى الإسلام حتى لا تذهب ريحهم وأهم ما يجب عليهم القيام به هو معرفة الله ونصر الله، قال تعالى: **{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ}** ٥٧.

---

٥٤ المصحف والسيف (107 108).
٥٥ سورة الحجرات آية (13).
٥٦ المصحف والسيف (114 115).
٥٧ سورة محمد آية (7).

ويجب على المسلمين أن يتفقوا ويتناصحوا في ظاهر الأمور وباطنها، وهذا لا يكون إلا بالعناية الشديدة بالإصلاح، وبنفوس طيبة، لأن الدعوة ولو كانت عظيمة وظاهرها كبير فلا تفيد إلا بالنية الصالحة إنما الأعمال بالنيات"٥٨.

وأعلن رحمه الله بياناً سنة 1356هـ حول موضوع خطير كان ولا زال وسيبقى إلى أن تقوم الساعة محل تحد وصراع بين قوى الخير والشر، وبين أهل العفة والطهر، وأهل الخنى والفساد ذلك هو موضوع المرأة وقد جاء في هذا البيان ما لا مزيد عليه كما أن الأحداث قد أثبتت سلامة نهجه رحمه الله نحو هذا الموضوع، وهو نهج مستمد من تشريع الله رب العالمين الذي خلقهم ويعلم ما ينفعهم وما يضرهم.

يقول رحمه الله: "أقبح ما هنالك في الأخلاق، ما حصل من الفساد في أمر اختلاط النساء بدعوى تهذيبهن، وفتح المجال لهن في أعمال لم يخلقن لها، حتى نبذن وظائفهن الأساسية من تدبير المنزل وتربية الأطفال، وتوجيه الناشئة الذين هم فلذات أكبادهن وأمل المستقبل إلى ما فيه حب الدين والوطن، ومكارم الأخلاق، ونسين واجباتهن الخلقية من حب العائلة التي عليها قوام الأمم، وإبدال ذلك بالتبرج والخلاعة، ودخولهن في بؤرات الفساد والرذائل، وادعاء أن ذلك من عمل التقدم والتمدن فلا والله ليس هذا (التمدن) في شرعنا وعرفنا وعاداتنا، ولا يرضى أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان وإسلام ومروءة أن يرى زوجته أو أحداً من عائلته، أو من المنتسبين إليه في هذا الموقف المخزي.

هذه طريق شائكة، تدفع بالأمة إلى هوة الدمار، ولا يقبل السير عليها إلا رجل خارج عن دينه، خارج عن عقله، خارج من تربيته.

فالعائلة هي الركن الركين في بناء الأمم، وهي الحصن الحصين الذي يجب على كل ذي شمم أن يدافع عنها.

إننا لا نريد من كلامنا هذا التعسف والتجبر في أمر النساء، فالدين الإسلامي قد شرع لهن حقوقاً يتمتعن بها لا توجد حتى الآن في قوانين أرقى الأمم المتمدنة، وإذا اتبعنا تعاليمه كما يجب فلا نجد في تقاليدنا الإسلامية، وشرعنا السامي ما يؤخذ علينا ولا يمنع مع تقدمنا في مضمار الحياة والرقي، إذا وجّهنا المرأة إلى وظائفها الأساسية وهذا ما يعترف به كثير من الأوروبيين من أرباب الحصافة والإنصاف ولقد اجتمعنا بكثير من هؤلاء الأجانب واجتمع بهم كثير ممن نثق بهم من المسلمين وسمعناهم يشكون مرّ الشكوى من تفكك الأخلاق، وتصدع ركن العائلة في بلادهم من جراء المفاسد، وهم يقدرون لنا تمسكنا بديننا، وتقاليدنا، وما جاء به نبينا من التعاليم، التي تقود البشرية إلى طريق الهدى، وساحل السلامة، ويودون من صميم أفئدتهم لو يمكنهم إصلاح حالتهم هذه، التي يتشاءمون منها، وتنذر ملكهم بالخراب، والدمار، والحروب الجائرة، وهؤلاء نوابغ كتابهم ومفكريهم، قد علموا حق العلم هذه الهوة السحيقة التي أمامهم والمنقادين إليها بحكم الحالة الراهنة، وهم لا يفتأون في تنبيه شعوبهم بالكتب والنشرات والجرائد على عدم الاندفاع في هذه الطريق التي يعتقدونها سبب الدمار والخراب.

إنني لأعجب أكبر العجب ممن يدعي النور والعلم، وحب الرقي لبلاده من الشبيبة التي ترى بأعينها وتلمس بأيديها، ما نوهنا عنه من الخطر الخلقي الحائق بغيرنا من الأمم ثم لا ترعوي عن ذلك وتتابرى في طغيانها وتستمر في عمل كل أمر يخالف تقاليدنا وعاداتنا الإسلامية والعربية، ولا ترجع إلى تعاليم الدين الحنيف الذي جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة وهدى لنا ولسائر البشر.

فالواجب على كل مسلم وعربي فخور بدينه معتز بعربيته ألا يخالف مبادئه الدينية وما أمر به الله تعالى بالقيام به لتدبير المعاد والمعاش، والعمل على كل ما فيه الخير لبلاده ووطنه، فالرقي الحقيقي هو بصدق العزيمة والعلم الصحيح، والسير على الأخلاق الكريمة، والانصراف عن الرذيلة، وكل ما من شأنه أن يمس الدين، والسمت العربي والمروءة، والتقليد الأعمى، وأن يتبع طرائق آبائه وأجداده، الذين أتوا بأعاظم الأمور، باتباعهم أوامر الشريعة التي تحث على عبادة الله وحده، وإخلاص النية في العمل، وأن يعرف حق المعرفة معنى ربه، ومعنى الإسلام وعظمته، وما جاء به نبينا ذلك البطل الكريم والعظيم صلى الله عليه وسلم من التعاليم القيمة، التي تسعد الإنسان في الدارين، وتعلّمه أن العزة لله وللمؤمنين، وأن يقوم بأود عائلته، ويصلح من شأنها، ويتذوق ثمرة عمله الشريف فإذا عمل فقد قام بواجبه وخدم وطنه وبلاده٥٩.

هذا رأي البطل. البطل في إيمانه وسلوكه وخلقه.

البطل في علمه وثقافته.

البطل في وعيه وبعد نظره وإدراكه.

البطل في تعامله مع شقائق الرجال.

هذه نظرته إليهن وقد كان لهن أعظم الدور في حياته، الدور الإيجابي، كم كان يتكنى بأخته "نورة" وكم كان يستعين بها في بعض شئونه ومع هذا فهي المرأة المسلمة في المكان العالي بعيداً عن متناول الأيدي الخسيسة.

ومن المواقف المشرفة للملك عبد العزيز رحمه والتي تدل على فهم ووعي ومراقبة لله

---

٥٨ المصحف والسيف (119).

٥٩ المصحف والسيف (322 - 323).

موقفه من الدولة العثمانية فقد وقف منها موقف المسلم المجدد الواعي في الوقت الذي ولغت فيه الأيدي الآثمة والعميلة في الدماء المسلمة الحرام باسم القومية العربية تلك الأيدلوجية التي نشأت في الأحضان المشبوهة ورعتها القوى الاستعمارية، وكانت أحد أهم معاول الهدم التي سلّمت البلاد العربية إلى الاستعمار العسكري والفكري، الذي لازالت آثاره السيئة تعمل في جسد الأمة إلى اليوم٦٠.

ويشاء الله، أن يطهر يدي الملك عبد العزيز من أن تُلوَّث بدماء المسلمين الأتراك وأن يجنب بلاد الحرمين - المملكة العربية السعودية - ويلات الاستعمار وألاعيبه، وسأشير إلى بعض مواقف الملك عبد العزيز رحمه الله من الدولة العثمانية تأكيداً لما ذكر هنا إضافة إلى ما ذكر في العنصر الرابع.

في سنة 1330هـ كتب إليه والي البصرة العثماني يسأله عن رأيه في أمراء العرب وشقاقهم وخروج بعضهم على الحكومة العثمانية فأجابه الملك عبد العزيز رحمه الله بقوله: "إنكم لم تحسنوا إلى العرب، ولا عاملتموهم في الأقل بالعدل. وأنا أعلم أن استشاراتكم إياي إنما هي وسيلة استطلاع لتعلموا ما انطوت عليه مقاصدي وهاكم رأيي ثم ذكر اقتراحا سياسياً تنظيمياً لو أخذ الأتراك به لكان قَوّت على أعدائهم فرصاً كثيرةً ولكان تغيّر مجرى كثير من الأحداث٦١.

وفي رسالة للرئيس الأمريكي روزفلت سنة 1357هـ حول ما يجري في فلسطين وما اتخذ نحوها من قرارات يقول رحمه الله: "... ولم يكن العرب يشعرون بأن الترك دولة مستعمرة لبلادهم وذلك:

1 - لوجود وحدة الجامعة الدينية.
2 - لشعور العرب أنهم شركاء في الحكم.
3 - لكون الإدارة المحلية للحكم بيد أبناء البلاد أنفسهم٦٢.

هذا هو موقف الملك عبد العزيز رحمه الله - وهو الموقف الذي يليق بمثله وقد أقام كما فعل أجداده من قبل - ملكه على أساس الكتاب والسنة ونتساءل من هنا أيحق لأحد من ملوثي العقيدة والفكر أن يعد الملك عبد العزيز رحمه الله في عداد دعاة القومية العربية تلك الأيدلوجية التي أقامها نصارى ويهود العرب ومن سار في ركابهم من مغفلي المسلمين والذين يحلو لكثير منهم أن يطلقوا على الحكم العثماني "الاستعمار التركي" ومن أعجب ما تقرأه في هذه النقطة ما كتبه الصحفي محمد زيدان حيث يجعل دعاة القومية العربية صدى لصوت ساطع الحصري وعزيز علي المصري ثم يسوق كلاماً صحفياً لا يقوم على أساس علمي وليس هذا محل الرد عليه ويختم تلك البلبلة بقوله:

فالحصيلة أن دعاة القومية العربية من أولهم إلى آخرهم كانوا لعبد العزيز!! وبه!! ومنه!!٦٣.

وهذا الكلام إنما يصدره في حق الملك عبد العزيز رحمه الله واحد من اثنين:

شخص لا يملك المؤهلات للكتابة عنه رحمه الله وقد أشير إلى تلك المؤهلات أو بعضها في أول البحث.

أو شخص صاحب هوى ومتشبع بما لا يملك، نسأل الله الثبات ونعوذ به من الضلال.

ومما يؤكد عظمة ما كان يتمتع به الملك عبد العزيز رحمه الله من وعي وثقافة وبعد نظر ما جاء في نصحه لبعض أهل سوريا حيث قال: "لا تأخذوا بمدنية أوربا الزائفة، وتتركوا فضائلكم. فعدو البلاد لا يعمل لما فيه خيرها، ونصيحتي لكم أن تعملوا ما عملنا نحن وما عمله أسلافكم الأطهار فالذي يصبر يظفر"٦٤.

كان هذا كلام الأصيل الذي قال عن نفسه يوماً: "لست متطفلاً على الرياسة والملك فإن أبائي، وأجدادي معروفون منذ القدم بالرياسة والملك" ٦٥ وليت العرب سمعوا كلامه ونهجوا نهجه لكانوا عندها قد قفلوا الأبواب أمام "لعبة الأمم" التي مورست على أرضهم في أبشع الصور وبأقذر الأساليب٦٦.

ومن آرائه الواعية ما قاله 1372هـ حين اتجه رأي الحكومات العربية إلى إنذار ألمانيا ثم مقاطعتها سياسياً واقتصادياً إذا هي أبرمت اتفاقها مع حكومة إسرائيل على ما سمي بالتعويضات فقد قال: "من جهة موقف الدول العربية مع الحكومة الألمانية بخصوص التعويض على إسرائيل. فالذي نراه هو بذل كل جهد ممكن لمنع التعويض لما فيه من تقوية لليهود وخطر على العرب، ولكن إذا تعذر هذا الأمر فالمعقول والمستحسن أن تحفظ العرب كرامتها بالوقوف موقفاً

---

٦٠ انظر "السعوديون والحل الإسلامي"، و"فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام"، و"المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية" و"الماسونية عقدة المولد وعار النهاية" و"بروتوكولات حكماء صهيون".

٦١ الوجيز "54".

٦٢ المصحف والسيف "187".

٦٣ ذكريات العهود الثلاثة (236).

٦٤ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز 1337/3.

٦٥ انظر العنصر الأول وحاشية (17).

٦٦ انظر "الدبلوماسية والمكيافيلية" و"ما الذي جرى في سوريا" مع التذكير أن صاحب الكتاب الأخير كان له دور سلبي إبان أحداث اللعبة سواء كان يدري أم لايدري.

مشرفاً للعرب، وغير مثير لحفيظة الشعب الألماني المغلوب على أمره وجلب عدائه للعرب دون جدوى"٦٧.

ويقول فلبي عن إمكانات الملك عبد العزيز رحمه الله: "... وقد وجدت فيه رجلاً لا يمل عن العمل، وبالرغم من الميل إلى الانجراف بعيداً عن نقاشه بموجات من فصاحته القرآنية ٦٨ فإنه رجل ذو مقدرة تجارية، وذو معرفة جيدة بشؤون العالم، ومطلع جداً على تعقيدات السياسة العربية وإن يكن مشاهداً غير مهتم بها"٦٩.

ووظف الملك عبد العزيز رحمه الله كل إمكاناته "للدفاع عن قضية فلسطين، وكان ذلك الدفاع صورة رائعة أيضاً لما كان يتمتع به رحمه الله من إمكانات أهلته لأن يكون من أقوى المدافعين عن هذه القضية واستطاع أن يضم إلى صالحها عدداً من قادة العالم ومفكريه ومات رحمه الله وفي قلبه حرقة وفي حلقة غصة مما وصلت إليه هذه القضية والله المستعان"٧٠.

---

٦٧ شبه الجزيرة (2/815 816).

٦٨ الملك عبد العزيز رحمه الله كان على صلة وثيقة بالقرآن الكريم وقد مر بك في هذا البحث كيف كان في سفره وإقامته لا يفتأ يطلب مزيداً من القراءة في كتب العلم المختلفة، وكان في خطبه ومحادثاته يرجع إلى ذلك المعين الصافي يسترشد به ويستهديه ويدعم به أقواله، لكن أنى لمثل فلبي أن يستطيب ذلك ويعيه.

٦٩ بعثة إلى نجد (91).

٧٠ انظر بعضاً من جهوده حول قضية فلسطين. المصحف والسيف: 126، 156، 169، 205، و"شبه الجزيرة"، و"جزيرة العرب في القرن العشرين".

تابع الدين . والشرف . والمروءة في حسِّ الملك عبد العزيز رحمه الله

العنصر الثامن: تعظيم حرمات الله، وتقدير العلم والعلماء

إن من مظاهر الحس الديني العظيم في حياة الملك عبد العزيز رحمه الله تعظيمه لحرمات الله وتقدير العلم والعلماء.

يقول في كلمة له عام 1348ه: "... إن الله جلت قدرته حكيم إذ جعل للاجتماع في بيته الحرام فوائد جمة:

أولها: الإخلاص في عبادة الله تعالى في أقدس بقعة حيث جعل بيته الحرام وأرسل رسوله من أفضل قبيلة قطنت هذه الديار، وقد جعل الله الفخار لأي كان بالتقوى لا بغيرها فلم يكن في الإسلام تفاضل بين العربي وغير العربي إلا بها وفخار العرب وعزهم بالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم. والكريم عند الله هو التقي الورع **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}** ١ وقد أنزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم خير الكتب فأمرنا بهذا الكتاب المبين وبرسوله وهذا خير فخار لنا"٢.

وفي كلمة له عام 1350 هـ أمام المؤتمر الوطني يقول: وأفضل شيء يقام هو تنفيذ أوامر الله تعالى في هذه البقعة المباركة التي أنزل بها الوحي وبعث بها محمد صلى الله عليه وسلم وهي مسقط رأسه ومدفنه، أضف إلى ذلك أن الحسنات فيها تتضاعف كما تتضاعف فيها السيئات أيضاً ولذا يجب علينا أن نرغب في جلب الخير وأن نرهب من الشر، وهذا يكون باتباع أوامر الله والنية الصحيحة والعمل الطيب والإنسان الذي لا يقوم بما أمر الله به لا ينجح أبداً..

وبلدكم هذا بلد الله الحرام فإذا لم نحرم ماحرم الله كانت نقمة الله علينا عظيمة، ثم كان هنالك كذب على الله لذلك يجب أن ننظر في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنفيذاً لأمر الله وحفظاً له ويجب النظر في الأمور التي تمادى البعض فيها وماهي إلا لهو ودنو إلى الشر وبعد عن الخير"٣.

ويقول في كلمة له: مسألتان لايمكن أن نقبلهما ولو قاتلنا أهل الأرض حتى لايبقى فينا أحد:

التغيير في دين الله ولو مثقال خردلة، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فالكتاب والسنة لا نحيد عنهما أبداً.

والثانية: أن أي أمر يلحق استقلال أو شرف بلادنا فهذا مستحيل أن نقبله ولو تكلم من تكلم أو قال من قال٤.

ويقول رحمه الله مذكراً بمسؤلية أهل البلد الحرام: " أوصيكم بتقوى الله واتباع كتابه والإهتداء بسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأن تعضوا عليها بالنواجذ، وأنتم بلد الله وسكان حرمه الشريف، ويجب أن تتمسكوا بذلك أكثر من غيركم.."٥.

ويقول عن عاشر ذي الحجة: " أنا في غنى عن التنويه بعظمة هذا اليوم، فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل اجتماع المسلمين فيه لأداء فريضة الحج الذي هو ركن من أركان الإسلام من جهة وللتعارف والتآلف من جهة ثانية"٦.

ويقول رحمه الله عن المصطفى صلى الله عليه وسلم: " إن نعم الله على خلقه لا تحصى، ومن كمال نعمه بعثة محمد صلى الله عليه وسلم {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم * فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم } ٧ ومحمد صلى الله عليه وسلم بعث من أشرف قبيلة، ومن أشرف أمة، وهو أفضل المخلوقات على الإطلاق، وأفضل من أي شيء بعد الله، ولقد جاء رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى والبينات جاء بأفضل الأديان ألا وهو دين الإسلام"٨.

ودخل عليه شاعر وألقى قصيدة كان مطلعها:

"أنت آمالنا وفيك الرجاء"

فصاح به رحمه الله وأنكر عليه بشدة، ولمح في المجلس الشيخ حمد الجاسر فقال: علمه التوحيد يا ابن جاسر٩.

وأما موقفه من العلم والعلماء فهو موقف المؤمن الصادق الذي يعلم أن نجاح الأمة وفلاحها مرهون بتمسكها بدينها، وطريقها إليه العلم والعلماء.

يقول الزركلي: كان لعلماء الدين المقام الأول عند الملك عبد العزيز، يقدمهم على إخوانه وأبنائه وكبار جلسائه، ويصغي إلى آرائهم، ويبالغ في أكرامهم.. وكان لكبارهم هيبة في نفسه

---

١ سورة الحجرات آية 13.
٢ المصحف والسيف (61).
٣ المصحف والسيف (68).
٤ المصحف والسيف (75 76).
٥ المصحف والسيف (82).
٦ المصحف والسيف (92).
٧ سورة التوبة آية (128 129).
٨ المصحف والسيف (95).
٩ شبه الجزيرة (746/2).

لايصطنعها، ولا يتعمَّلها ولا سيما آل الشيخ... سُمع مرة يقول: ما لقيت الشيخ يعني عبد الله بن عبد اللطيف إلا تصبب العرق من إبطي...

وكان يقع اختلاف في وجهات النظر أحياناً بين الملك وبعض العلماء خاصة في بعض الأمور المستحدثة وكان الملك رحمه الله القوي الحكيم في معالجة تلك الأمور يقول الزركلي عن ذلك:

" ويبالغ الكتاب في وصف ما كان يبذله من الجهد في بدء نمو الدولة لإقناع المشايخ ولاسيما الإخوان... بأن استخدام الآلات الحديثة كاللاسلكي، والتلفون، والسيارات لا حرج فيه من الدين.. على أن هناك ما لا ينبغي إغفاله. وهو أن الملك عبد العزيز كان يعلم أن المرء عدو ما جهل، ويعلم أن أكثر من عارضوه في استخدام الآلات الحديثة إنما كانوا يُصدرون عن نية حسنة.. ولم تكن معارضتهم لرغبة في الشغب أو لعرقلة تقدمه الاجتماعي والنظامي بالدولة بل يعارضون لأن الواجب ديناً، ولأن من مقتضيات الإخلاص للإمام أن ينصحوه فيما يعن لهم أنه انحراف عن نهج السداد...

ولكن عبد العزيز الحكيم المتأنِّي الحريص على أن تلتف قلوب الناس حوله قبل جسومهم كان يكبر في دخيلة نفسه جرأتهم ويجل صراحتهم، ويطيل التفكير في حل عقدهم النفسية ويلتمس العذر لمن عادى ما يجهل منهم.. ثم كان عبد العزيز في المدة الأخيرة من حياته، إذا ذكر ما لقي من بعض المشايخ في إبان وثبته أكثر من حمد الله على توفيقه له في أخذ النصحاء منهم بالرفق، ونوه بذكر السابقين منهم إلى الاقتناع وبما كان لمواقفهم في نصرته من الأثر في قمع المتشددين وهداية المسترشدين"١٠.

وليس غريباً على الملك عبد العزيز رحمه الله بصفة خاصة وآل سعود بصفة عامة أن يقفوا من العلم والعلماء مثل هذا الموقف المشرف، فهم أدرى الناس بأهمية العلم والعلماء لقيام الحكم العادل القوي، وقد تيقنوا أثر ذلك عبر فترات الحكم السعودي الثلاث، كما أن التاريخ يشهد أن الأمة التي تحتكم إلى العلم الحق والعلماء الربانيين في أمورها يكون الفلاح طريقها والنصر حليفها، وها هو أخيراً الملك عبد العزيز يوصي ولي عهده الملك سعود في أول وصية له بعد أن عهد إليه بولاية العهد يقول له: " أوصيك بعلماء المسلمين خيراً أحرص على توقيرهم، ومجالستهم وأخذ نصيحتهم، واحرص على تعليم العلم لأن الناس ليسوا بشيء إلا بالله ثم بالعلم ومعرفة هذه العقيدة "١١.

وأقيمت في القصر الملكي بالرياض حفلة عشاء وجاء دخول المدرسين إلى قاعة الطعام متأخرا يقول أحمد علي راوي القصة فرآنا الملك ونحن ندخل القاعة فلم يسمح لنا بالتقدم بل أجلسنا على مائدته، وأخذ يقول للأمراء إنهم يستحون فاقطعوا لهم اللحم١٢.

العنصر التاسع: إقامة الدولة على الإسلام والاحتكام إليه

لقد كان تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقاً تاماً في كل شئون الحياة هو الهدف الرئيسي للدولة السعودية في أدوارها الثلاثة :

الهدف الرئيسي لأنه مقتضى الإيمان ولا إيمان بدون ذلك.

الهدف الرئيسي لأنه كان دائماً مصدر القوة والخير في حياة الأمة الإسلامية عبر تاريخها.

الهدف الرئيسي لأنه كان مصدر عظمة الدولة السعودية في أدوارها الثلاثة.

وسر تلك المنزلة العظيمة التي تبوأتها في نفوس المسلمين.

يقول كشك: " ولاشك أن أولى المحاولات، هي المحاولة السعودية التي بدأت في القرن الثامن عشر واستطاعت أن تتجدد في مطلع القرن العشرين فقد كانت... أقوى وأبرز طرح للحل الإسلامي في ظروف الهزيمة الشاملة للمسلمين أمام الغزوة الأوروبية التي لم يكن احتلالها العسكري هو أخطر أسلحتها بل محاولة إقناع المسلمين بأن الإسلام قد انتهى عصره وأن التغريب هو حتمية التاريخ فاستطاع السعوديون بدعوة محمد بن عبد الوهاب تأخير التغريب مئة عام رغم هزيمتهم كما استطاعوا أن يطرحوا أول وأكمل ثورة عربية وذلك بطرحها في صيغتها الشرعية أعني العروبة الملتحمة بالإسلام لا المتمردة ولا المتآمرة على الإسلام... إذ استطاع رجال لا ينتمون لعزوة قبلية ولا إلى دولة غنية ولا إلى خلفية حضارية أن ينفضوا غبار التاريخ عن بيئتهم ومجتمعهم ووطنهم وأن يشغلوا العالم بالمسألة السعودية والحل الإسلامي... وإذا بالسعوديين يهبون مرة أخرى بقيادة عبد العزيز فيطرحون الحل الإسلامي وينتصرون بل يكون نصرهم هو النصر الوحيد على الساحة العربية، إن لم نقل في العالم الثالث حتى النصف الثاني من القرن العشرين فهم وحدهم نجحوا في إقامة كيان مستقل خارج السيطرة المباشرة للاستعمارية الغربية١٣، إذاً جاء الملك عبد العزيز وهو موقن أنه لا نصر ولا تمكين إلا بتحكيم شرع الله وهو الهدف الرئيسي والغاية القصوى لقيام الدولة السعودية.

يقول رحمه الله في خطاب له سنة 1349 ه "... وإنكم تعلمون أن أساس أحكامنا ونُظمنا هو الشرع الإسلامي وأنتم في تلك الدائرة يعني مجلس الشورى أحرار في سن كل نظام

---

١٠ شبه الجزيرة (741/2 745).

١١ الوجيز (159).

١٢ الوجيز (333).

١٣ السعوديون والحل الإسلامي (726).

وإقرار العمل الذي ترونه موافقاً لصالح البلاد على شرط أن لا يكون مخالفاً للشريعة الإسلامية لأن العمل الذي يخالف الشرع لن يكون مفيداً لأحد والضرر كل الضرر هو السير على غير الأساس الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم "١٤.

ويقول رحمه الله أمام المؤتمر الوطني سنة 1350ه : "إن الدنيا إذا كثرت خبرتها والدين أهمل فلا فائدة ترجى منها، بل هذا أساس البلاء، أما إذا عمر الدين ونفذت أوامره واجتنبت محارمه صلحت الدنيا فأنا أرجو أن تفكروا في طاعة الله ومخافته واتباع سنة رسوله، وأرجو أن تهتمو بالأمر اهتماماً شديداً.. وصفوة القول أنه إذا صلح الرأس صلح الجسد، وأمور الدين هي الرأس فإذا استقام أمره أصلحت أحوالنا الدنيوية"١٥.

ويقول سنة 1351ه أمام كبار رجال الدولة: "وإنّي أرى كثيراً من الناس ينقمون على ابن سعود، والحقيقة ما نقموا علينا إلا لاتباعنا كتاب الله وسنة رسوله، ومنهم من عاب علينا التمسك بالدين، وعدم الأخذ بالأعمال العصرية، فأما الدين فوالله لا أغير شيئاً مما أنزل الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا أتبع إلا ما جاء به، وليغضب علينا من شاء وأراد، أما الأمور العصرية التي تعنينا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذها، ونعمل بها، ونسعى في تعميمها، أما المنافي منها للإسلام فإننا ننبذه، ونسعى جهدنا في مقاومته، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام ولا عز لنا إلا التمسك به"١٦.

ويقول في كلمة له: "... وقد هدانا الله جل شأنه إلى الصراط السَّوي في معاشي الدنيا والآخرة فقال في كتابه العزيز {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا} ١٧ فالاعتصام بحبل الله واجب على كل فرد من أفراد المسلمين لأن العزَّ كله، والخير كله بذلك فإذا حُدنا عن هذا السبيل خسرنا الدنيا والآخرة"١٨.

وأمام المؤتمر الإسلامي يقول رحمه الله سنة 1344ه: "... ففي بحبوحة هذا الأمن والحرية التي لاتتقيد إلا بأحكام الشرع أدعوكم إلى الائتمار والتشاور في كل ماترون من مصالح ونظم يطمئن إليها العالم الإسلامي بإقامة شرع الله، والتزام أحكامه وآداب دينه"١٩.

ويقول رحمه الله سنة 1350 هـ: "... فلنعرف ذلك، ولنحتفظ بديننا، ولغتنا، وبلادنا، ولنحبها حباً جماً لا مانع من أن نأخذ من غيرنا المفيد، فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها، وقد كانت للعرب في جاهليتها خصال حميدة وكانت لغيرهم أيضاً فجاء الإسلام فأقرها"٢٠.

ويقول سنة 1347هـ: "إن المسلمين متفرقون اليوم طرائق بسبب إهمالهم العمل بكتاب الله وسنة رسوله"٢١.

ويقول رحمه الله: "يجب أن نداوي أنفسنا بطاعة الله سبحانه وتعالى، فطاعته مصدر كل عز وخير لنا"٢٢.

وقال: "إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشّريعة، ولن يكون في مكة بعد الآن سلطان لغير الشرع"٢٣.

يقول الزركلي: "كان عبد العزيز كلما سئل عن دستور بلاده أجاب دستورنا القرآن وهو يعني تقيده هو ومملكته بأحكام الشّرع الإسلامي المستمدة من معاني القرآن، وما لم يكن فيه فمن حديث رسوله وعمله، وما لم يكن فيهما فمن قضاء أصحابه وسيرتهم... الخ "، وأشار إلى أن أول نظام وضع للمملكة كانت مادته من إملاء عبد العزيز بمكة سنة 1345هـ وقد جاء فيه:

5 - جميع أحكام المملكة تكون منطبقة على كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح"٢٤ وأعلنت المملكة عام 1364هـ للدول العربية: أنها ستمتنع عن تنفيذ أي مبدأ في التعليم أو التشريع يخالف قواعد الدين الإسلامي وأصوله٢٥.

وتحقق الهدف وأدرك الناس من مسلمين وغيرهم سمو الهدف وعظمة الإنجاز، وأينعت الثمار على خير وجه.

يقول الأمير شكيب أرسلان: "... إلى أن آل أمر الحجاز إلى الملك عبد العزيز بن سعود منذ بضع عشرة سنة فلم تمض سنة واحدة حتى انقلب الحجاز من مسبعة تزأر فيها الضواري في كل يوم بل في كل ساعة إلى مهد أمان وقرارة اطمئنان، ينام فيها الأنام بملء الأجفان، ولا

---

١٤ المصحف والسيف (64).
١٥ المصحف والسيف (68).
١٦ المصحف والسيف (80).
١٧ سورة آل عمران آية 103.
١٨ المصحف والسيف (92).
١٩ المصحف والسيف (50).
٢٠ المصحف والسيف (71).
٢١ المصحف والسيف (55).
٢٢ المصحف والسيف (93).
٢٣ الوجيز (86).
٢٤ الوجيز (90 91).
٢٥ شبه الجزيرة 1208/3.

يخشون سطوة عاد، ولا غارة حاضر ولا باد، وكأن أولئك الأعراب الذين روعوا الحجيج مدة قرون وأحقاب لم يكونوا في الدنيا، وكأن هاتيك الذئاب الطلس تحولت إلى حملان فلا نهب ولا سلب ولا قتل ولا ضرب ولو شاءت الفتاة البكر الآن أن تذهب من مكة إلى المدينة أو من المدينة إلى مكة أو إلى أية جهة من المملكة العربية السعودية وهي حاملة الذهب والألماس والياقوت والزمرد ما تجرأ أحد أن يسألها عما معها... فسبحان محول الأحوال ومقلب القلوب، والله لا يوجد في هذا العصر أمن يفوق أمن الحجاز لا في الشرق ولا في الغرب ولا في أوربا ولا في أمريكا، وقد تمنى المستر "كراين" الأمريكي صديق العرب الشهير في إحدى خطبه أن يكون في وطنه أمريكا الأمن الذي رآه في الحجاز واليمن وكل من سكن أوروبة، وعرف الحجاز في هذه الأيام يحكم بأن الأمنة على الأرواح والأعراض والأموال في البقاع المقدسة هي أكمل وأشمل وأوثق أوتاداً وأشد أطناباً منها في الممالك الأوروبية والأمريكية، فأين أولئك الذين كانوا يقولون إن الأعراب لا يقدر على ضبطها إنسان، وأن سكان الفيافي هم غير سائر البلدان فها هو ذا ابن سعود قد ضبطها بأجمعها في مملكته الواسعة ومحا أثر الغارات والثأرات بين القبائل وأصبح كل إنسان يقدر أن يجوب الصحاري وهو أعزل، ويدخل أرض كل قبيلة دون أن يعترضه معترض أو يسأله سائل إلى أين هو غاد أو رائح... وقد سرت بشرى الأمان الذي شمل البلاد المقدسة الحجازية فعمت أقطار الإسلام، وأثلجت صدور أبنائه، وارتفعت عن الحجاز تلك المعرّة، التي طالما وجم لها المسلمون، وذلك بقوة إرادة الملك عبد العزيز بن سعود والتزامه حدود الشرع"٢٦.

ويتناول عبد القادر عودة الإنجاز من خلال حديثه عن عظمة الشريعة الإسلامية وما يجنيه من طبقها وسار على هديها من أمن وعز وتمكين فيقول:

"ولقد مرّ على الشريعة الإسلامية أكثر من ثلاثة عشر قرناً، تغيرت في خلالها الأضاوع أكثر من مرة، وتطورت الأفكار والآراء تطوراً كبيراً، واستحدث من العلوم والمخترعات ما لم يكن يخطر على خيال إنسان، وتغيرت قواعد القانون الوضعي ونصوصه أكثر من مرة لتتلائم مع الحالات الجديدة والظروف الجديدة، بحيث انقطعت العلاقة بين القواعد القانونية الوضعية التي نطبقها اليوم وبين القواعد القانونية الوضعية التي كانت تطبق يوم نزلت الشريعة، وبالرغم من هذا كله، ومع أن الشريعة الإسلامية لا تقبل التغيير والتبديل ظلت قواعد الشريعة ونصوصها أسمى من مستوى الجماعات وأكفل بتنظيم وسد حاجتهم وأقرب إلى طبائعهم وأحفظ لأمنهم وطمأنينتهم.

... وإذا لم تكن الشريعة من صنع الجماعة فإن الجماعة نفسها من صنع الشريعة إذ الأصل في الشريعة أنها لم توضع لتنظيم شئون الجماعة فقط كما كان الغرض من القانون الوضعي.

دائماً المقصود من الشريعة قبل كل شيء هو خلق الأفراد الصالحين والجماعة الصالحة وإيجاد الدولة المثالية والعالم المثالي ومن أجل هذا جاءت نصوصها أرفع من مستوى العالم كله وقت نزولها ولا تزال كذلك حتى اليوم وجاء فيها من المبادئ والنظريات ما لم يتهيأ العالم غير الإسلامي لمعرفته والوصول إليه إلا بعد قرون طويلة، وما لم يتهيأ هذا العالم لمعرفته أو يصل إليه حتى الآن، ومن أجل هذا تولى الله جل شأنه وضع الشريعة وأنزلها على رسوله نموذجاً من الكمال ليوجه الناس إلى الطاعات والفضائل، ويحملها على التسامي والتكامل حتى يصلوا أو يقتربوا من مستوى الشريعة الكامل، وقد حققت الشريعة ما أراده لها العليم الخبير، فأدت رسالتها أحسن الأداء، وجعلت من رعاة الإبل سادة للعالم، ومن جهال البادية معلمين وهداة للإنسانية.

ولقد أدت الشريعة وظيفتها طالما كان المسلمون متمسكين بها عاملين بأحكامها تمسك بها المسلمون الأوائل، وعملوا بها وهم قلة مستضعفة، يخافون أن يتخطفهم الناس فإذا هم في عشرين سنة سادة العالم وقادة البشر، لا صوت إلا صوتهم، ولا كلمة تعلو كلمتهم، وما أوصلهم لهذا الذي يشبه المعجزات إلا الشريعة الإسلامية، التي علمتهم وأدبتهم ورققت نفوسهم وهذبت مشاعرهم، وأشعرتهم العزة والكرامة، وأخذتهم بالمساواة التامة، والعدالة المطلقة، وأوجبت عليهم أن يتعاونوا على البر والتقوى، وحرمت عليهم الإثم والعدوان، وحررت عقولهم ونفوسهم من نير الجهالات والشهوات، وجعلتهم يعتقدون أنهم خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالحق.

كان ذلك حال المسلمين طالما تمسكوا بشريعتهم، فلما تركوها، وأهملوا أحكامها تركهم الرقي، وأخطأهم التقدم، ورجعوا القهقرى إلى الظلمات التي كانوا يعمهون فيها من قبل، فعادوا مستضعفين مستبعدين، لا يستطيعون دفع معتد، ولا الامتناع من ظالم.

وقد خيل للمسلمين وهم في غمرتهم هذه أن تقدم الأوربيين راجع لقوانينهم وأنظمتهم فذهبوا ينقلونها، وينسجون على منوالها، فلم تزدهم إلا ضلالاً على ضلالهم، وخبالاً على خبالهم، وضعفاً على ضعفهم، بل جعلتهم أحزاباً وشيعاً كل حزب بما لديهم فرحون، بأسهم بينهم شديد، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، ولو أراد الله بالمسلمين خيراً لعلموا أن الشريعة الإسلامية وقد جاءت كاملة لا يشوبها نقص حاملة في طياتها وسائل التقدم والتطور المستمر للمجتمع هي أصلح الشرائع لعصور التقدم وعصور التأخر على السواء لأنها في كل الأحوال ترمي إلى تكوين الجماعة الصالحة وتوجيهها دائماً للتقدم المستمر والتطور الصالح ولا تقنع من ذلك بما هو دون الكمال.

---

٢٦ لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم (166 - 168).

وإن في تاريخ المسلمين لآية وإنه لعبرة لمن كان له قلب، وإن فيه الدليل الحاسم على أن الشريعة الإسلامية هي التي خلقت المسلمين من العدم، وجعلتهم أمة فوق الأمم ودفعتهم إلى الأمام، وسلطتهم على دول العالم، وإن فيه الدليل الحاسم على أن حياة المسلمين وتقدمهم ورقيهم متوقف على تطبيق الشريعة الإسلامية، فالمسلمون من صنع الشريعة كيانهم تابع لكيانها، ووجودهم مرتبط بوجودها، وسلطانهم تابع لسلطانها.

إلى أن قال: "... وليعلم هؤلاء أن سبب تأخرنا وانحطاطنا هو أننا لم نطبق الشريعة تطبيقاً عادلاً ولا كاملاً في عهودنا المظلمة المتأخرة، وإن حكامنا من الأتراك والمماليك كانوا يحكمون هواهم في كل ما يهتمون به، ويحكمون الشريعة فيما لا يضرهم ولا ينفعهم، وإذا كان سبب تأخرنا هو إهمال الشريعة وترك أحكامها فلن يجدينا الأخذ بالقوانين شيئاً بل سيزيدنا تأخراً على تأخر وانحطاطاً على انحطاط، وإنما علاجنا المجدي هو القضاء على سبب التأخر، والعودة لأحكام الشريعة.

لقد طبق أباؤنا بعض أحكام الشريعة دون البعض الآخر، وآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه فصدقهم الله وعده - إن وعد الله حق - وأخزاهم في الحياة الدنيا، وجئنا على آثارهم، نتبعهم ونؤمن إيمانهم فأخزانا الله كما أخزاهم، وسلط علينا كما سلط عليهم، وجعلنا عبرة لأولي الألباب، ولن يغير الله ما بنا حتى نغير ما بأنفسنا، وقلوبنا، ونؤمن بالكتاب كله، ذلك وعد الله والله يقول الحق وقد قال: **{إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}** .

لقد آمن المسلمون الأوائل وحسن إيمانهم فمكن الله لهم في الأرض وإن الذي مكن لهم على قلتهم وضعفهم قادر أن يمكن لنا في الأرض إذا آمنا وحسن إيماننا ذلك وعد الله لعباده في قوله: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}**.

وذلك وعده لمن اتبع كتابه وتمسك بشريعته، حيث يقول جل شأنه: **{قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** المائدة 16.

إلى أن قال: "... والتجربة وحدها هي التي تبين قيمة الأنظمة الجنائية ولا عبرة بالمنطق المزوق، الذي يصح مرة، ويخيب أخرى، ولست آتي بجديد حين أقول هذا وإنما أكرر ما قاله علماء القوانين الوضعية مجتمعين في اتحاد القانون الدولي، حيث قرروا أن أحسن نظام جنائي هو الذي يؤدي عملاً إلى نتائج أكيدة في كفاح الجريمة، وأن التجارب هي وحدها الكفيلة بإبراز هذا النظام المنشود، ولقد أبرزت التجارب الحديثة أحسن الأنظمة الجنائية وتبين أن هذا النظام المنشود هو الشريعة الإسلامية، وكانت التجارب التي امتحنت فيها عقوبات الشريعة على نوعين كلية وجزئية.

فأما التجربة الكلية فقد بُدئ بها في مملكة الحجاز من حوالي عشرين عاماً، حيث طبقت الشريعة الإسلامية تطبيقاً تاماً، ونجحت نجاحاً منقطع النظير في القضاء على الإجرام، وحفظ الأمن والنظام، ولا يزال الناس يذكرون كيف كان الأمن مختلاً في الحجاز، بل كيف كان الحجاز مضرب الأمثال في كثرة الجرائم وشناعة الإجرام، فقد كان المسافر فيه كالمقيم لا يأمن على ماله ولا على نفسه في بدو أو حضر في نهار أو ليل، وكانت الدول ترسل مع رعاياها الحجاج قوات مسلحة لتأمين سلامتهم ورد الاعتداء عنهم، وما كانت هذه القوات الخاصة ولا القوات الحجازية بقادرة على إعادة الأمن وكبح جماح العصابات ومنعها من سلب الحجاج أو الرعايا الحجازيين وخطفهم، والتمثيل بهم وظل حماة الأمن في الحجاز عاجزين عن حماية الجمهور حتى طبقت الشريعة الإسلامية، فانقلبت الحال بين يوم وليلة، وساد الأمن بلاد الحجاز، وانتشرت الطمأنينة بين المقيمين والمسافرين، وانتهى عهد الخطف، والنهب، وقطع الطريق، وأصبحت الجرائم القديمة أخباراً تروى، فلا يكاد يصدقها من لم يعاصرها أو يشهدها وبعد أن كان الناس يسمعون أشنع أخبار الإجرام عن الحجاز أصبحوا يسمعون أعجب الأخبار عن استتباب الأمن والنظام، فهذا يفقد كيس نقوده في الطريق العام فلا يكاد يذهب إلى دار الشرطة ليبلغ حتى يجد كيسه كما فقد منه معروضاً للتعرف عليه، وهذا يترك عصاه في الطريق فتنقطع حركة المرور حتى تأتي الشرطة لرفع العصا من مكانها، وهذا يفقد أمتعته وييأس من ردها ولا يبلغ عنها ولكنه يجد الشرطة يبحثون عنه ليردوا إليه ما فقد منه.

وبعد أن كان الأمن يعجز عن حفظه قوات عسكرية من الداخل وقوات عسكرية كبيرة من الخارج أصبح الأمن محفوظاً بحفنة من الشرطة المحليين تلك هي التجربة الكلية وكفى بها دليلاً على أن النظام الجنائي في الشريعة الإسلامية يؤدي عملاً إلى قطع دابر الجريمة وإنه النظام الذي يبحث عنه ويتمناه اتحاد القانون الدولي"٢٧.

ويقول وفد كبار رجال الفكر والقانون في أوربا وقد شاهد بعينه آثار التجربة والإنجاز: "من هنا ومن هذا البلد الإسلامي يجب أن تعلن حقوق الإنسان لا من غيره من البلدان وإنه يتوجب على العلماء المسلمين أن يعلنوا هذه الحقائق المجهولة عند الرأي العام العالمي والتي كان الجهل بها سبباً لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين والحكم الإسلامي عن طريق أعداء الإسلام والمسلمين، وألحّ أن تكتب للوفد الأجوبة القيمة - التي سمعوها - لتكون في أيديهم وثيقة

---

٢٧ التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (20/1، 22، 62، 712).

مكتوبة يدافعون بها عن الإسلام ويشرحون بها الحقيقة لكل راغب في المعرفة.

وقال أحد أعضاء الوفد: ... وإني بصفتي مسيحياً أعلن أنه هنا في هذا البلد الإسلامي يعبد الله حقيقة وأنه مع السادة العلماء بأن أحكام القرآن في حقوق الإنسان بعد أن سمعها ورأى في الواقع تطبيقها هي بلا شك تفوق على ميثاق حقوق الإنسان٢٨.

العنصر العاشر: الدَّعوة إلى الدِّين الحق والعقيدة السلفية

من بدهية الأمور أن رجلاً عظيماً أقام دولته على أساس الكتاب والسنة سيكون بلا شك من أهم إنجازاته الدعوة إلى الدين الحق والعقيدة الصحيحة، وهذا ما حصل بالفعل من الملك عبد العزيز رحمه الله.

يقول في أحد خطبه سنة 1351هـ : "أنا مبشِّرٌ أدعو لدين الإسلام ونشره بين الأقوام، أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما جاء عن الخلفاء الراشدين"٢٩.

ويقول أيضاً: "وقد جعلنا الله - أنا وآبائي وأجدادي - مبشرين ومعلمين بالكتاب، والسنة، وما كان عليه السلف الصالح، لا نتقيد بمذهب دون آخر، ومتى وجدنا الدليل القوي في أي مذهب من المذاهب الأربعة رجعنا إليه وتمسكنا به، وأما إذا لم نجد دليلاً قوياً أخذنا بقول الإمام أحمد..."٣٠.

ويختتم كلمته أمام المؤتمر الإسلامي بقوله: "أسأل الله عز وجل أن يوفقني وإياكم لإقامة دينه الحق وخدمة حرمه وحرم رسوله صلوات الله وسلامه عليه والتأليف بين جماعة المسلمين والحمد لله رب العالمين.."٣١

وفي خطاب ألقاه أمام عدد من كبار موظفي الدولة سنة 1346هـ وهو يعيد صياغة إنسان هذه الجزيرة بما يتفق والإسلام الحق يقول: "تعلمون أن أفضل الأعمال كلمة حق تقال، وأن أفضل الأعمال معرفة الحق واستعماله، والمجالس يجب أن تكون للنصيحة والإرشاد، نحن نريد أن نسير إلى الأمام بأقدام ثابتة وفي ضوء النهار، إن رأينا واعتقادنا وآمالنا في السير إلى الأمام يجب أن يكون وفق ما كان عليه نبينا صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السلف الصالح، فما كان موافقاً للدين في أمور الدنيا سرنا عليه، وما كان مخالفاً نبذناه٣٢.

وفي سنة 1347هـ قال في القصر الملكي بمكة: "يُسموننا "بالوهَّابيين" ويسمون مذهبنا "الوهابي" باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض.

نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح.

ونحن نحترم الأئمة الأربعة ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة وكلهم محترمون في نظرنا.

هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها وهذه هي عقيدتنا وهي عقيدة مبنية على توحيد الله عز وجل، خالصة من كل شائبة منزهة من كل بدعة، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها وهي التي تنجينا مما نحن فيه من محن وأوصاب... والله إنني لا أحب الملك وأبهته ولا أبغي إلا مرضاة الله والدعوة إلى التوحيد، ليتعاهد المسلمون فيما بينهم على التمسك بذلك وليتفقوا فإنني أسير وقتئذ معهم لا بصفة ملك أو زعيم أو أمير بل بصفة خادم أسير معهم أنا وأسرتي وجيشي وبنو قومي والله على ما أقول شهيد وهو خير الشاهدين.."٣٣

وفي خطبة له عام 1348هـ في حفل أمانة العاصمة في مكة المكرمة يقول: وليس الغرض من هذه الاجتماعات الأكل والزينات - فإن هذا لا يهمنا - وإنما المهم عندنا أن نتذاكر مع إخواننا بما يعلي كلمة التوحيد ويدعو لإخلاص العبادة لله فهذا جل ما نقصده من هذه الاجتماعات... إلى أن قال: "وكل همي هو موجه لإعلاء كلمة الدين وإعزاز المسلمين، سنبقى مثابرين - أنا وأسرتي - على هذه الخطة إلى ما شاء الله ولن نحيد عنها قيد شعرة بحول الله وقوته، ومن الله نسأل التّوفيق والهداية"٣٤.

وفي حفل بمبنى وكالة المالية في الطائف سنة 1351هـ أمام كبار رجالات الدولة يقول: "وإذا ما بلغنا إلى جهة من الجهات أمرنا أهلها باتباع كتاب الله وسنة رسوله وما نحن إلا مجاهدون في سبيل الله، وإن أول شيء نحافظ عليه، ونعض عليه بالنواجذ ونحارب دونه ولو أهل الأرض هو ديننا ووطننا، وهذان الأمران لا نقبل فيهما قولاً ولا تصرفاً ولا هوادة، إنَّا نبذل النفس

---

٢٨ ندوات علمية حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام (26).

٢٩ المصحف والسيف (84).

٣٠ المصحف والسيف (88).

٣١ المصحف والسيف (51).

٣٢ المصحف والسيف (53).

٣٣ المصحف والسيف (55 56).

٣٤ المصحف والسيف (61 62).

والنفيس دونهما لأنهما عظيمان عندنا ولا يمكن أن نتخلّى عنهما قيد شعرة، ومن لامنا في ذلك فليضرب رأسه بالجدار"٣٥.

وفي خطاب له يقول - وهو يتحدث عن الجيوش القوية التي أصبحت تحت يده -: "إن هذه القوة موقوفة لتأييد الشريعة الإسلامية، ونصرة الإسلام في الديار التي ولاني الله أمرها أعادي من عادى الله ورسوله، وأصالح من لا يعادينا ومن لا يناوئنا بسوء"٣٦.

ويقول أيضاً في كلمة له: "إنني رجل سلفي وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها على الكتاب والسنة"٣٧.

هكذا كان هاجس الملك عبد العزيز رحمه الله، دعوة صادقة إلى الدين الحق وبناء عقدي منبثق من الكتاب والسنة، بل إن الأمر يصل إلى حد الحس المرهف في أمر العقيدة والدين.

يقول الزركلي: "في إحدى زيارات الملك عبد العزيز لبلدة الخرج يوم 1363/12/7هـ دخل عليه شاعر من أهل نجد وفي يده قصيدة استأذنه في إلقائها وابتدأ بمطلعها: "أنت آمالنا وفيك الرجاء"..

فصاح الملك: تخسأ، ولمح في المجلس الشيخ حمد الجاسر فقال علمه التوحيد يا ابن جاسر٣٨.

وفي اجتماع الملك عبد العزيز بأحد الملوك العرب أراد الملك العربي أن يؤكد أمراً فقال: "وحياة رأسك. فنظر إليه عبد العزيز وقال: قل: "والله"٣٩.

ويتلقى في مفتتح عام 1349هـ البرقية الآتية: "صاحب الجلالة مكة في مثل هذا اليوم بزغ نجم العروبة عند إقبال الزمان، وأنت الآن محط أنظارها ومناط آمالها فلعل الله اختارك لتجديد شبابها ولإعادة مجدها حياك الله وأحياك، أحمد زكي باشا".

وكان الجواب :

إلى أحمد زكي باشا بمصر

نسأل الله أن يوفقنا للعمل بالمبادئ التي تأسست يوم بزوغ نجم العروبة لأن في ذلك السعادة والسؤدد كله.

عبد العزيز"٤٠.

هكذا القمم في مبادئها، وقيمها وثباتها، على تلك المبادئ والقيم، ومن هنا يعلم خطورة قول المترجم على أبي خلدون ساطع الحصري.. وأمثاله: "إن دعاة القومية من أولهم إلى آخرهم كانوا لعبد العزيز، وبه، ومنه..!!" سبحان الله أين داعية الدين الحق والعقيدة الصحيحة وحامي حمى الحرمين من غوائل الاستعمار العسكري والفكري، أين هذا من ركائب الاستعمار ودعاة التغريب والردة كما تشهد بذلك طروحاتهم واعترف أنه ما كان لي أن أزج بذكر القومية "رموز وفكر" وسط سيرة البطل لولا أنهم قد تجرأوا وادعوا في عبد العزيز ما ليس لهم فكان لزاماً أن أنبه إلى الحقيقة التي قد تلتبس على بعض أنصاف المثقفين أو المشوهين فكراً وولاءً.

العنصر الحادي عشر: الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في حكمة وحزم

من المعلوم لدى المسلمين ما أكدته الشريعة الإسلامية من أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه واجب على المسلمين كل حسب علمه وطاقته، ويتأكد في حق ولاة الأمر، إذ هو أحد أهم صمامات الأمان في المجتمعات، بل إنه أحد أهم مؤهلات الأمة المسلمة للخيرية على جميع البشر... **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}**٤١.

ولاشك أن الملك عبد العزيز رحمه الله - وهو المسلم الواعي المراقب لربِّه - مدرك هذه الحقيقة وقد جاء ذلك واضحاً في عدد من أقواله وأفعاله. فها هو سنة 1344هـ بعد أن بايعه أهل الحجاز يلقي كلمة بليغة يدعو فيها إلى الصراحة والتناصح بين مختلف طبقات المجتمع وإلا هلك الجميع وضاعت الأولى والآخرة، يقول رحمه الله: "اعلموا أنّ ما من رجل مهما بلغ من المنازل العالية، يستطيع أن يكون له أثر، وأن يقوم بعمل جيد إذا كان لا يخشى الله، وإنّي أحذركم من اتباع الشهوات التي فيها خراب الدين والدنيا، وأحثكم على الصراحة والصدق في القول، وعلى ترك الرياء والملق في الحديث. لم يفسد الملك إلا الملوك وأحفادهم، وخدامهم، والعلماء المملقون وأعوانهم، ومتى اتفق الأمراء والعلماء ليستر كل منهم على صاحبه فيمنح الأمير المنح والأمراء يدلسون ضاعت حقوق الناس وفقدنا والعياذ بالله الآخرة والأولى"٤٢.

ويقول في كلمة سنة 1346هـ أمام عدد من كبار موظفي الدولة: "هنا محاكم شرعية ولجان الأمر بالمعروف، أسست لإظهار الحق وأنتم - أيها القوم -أمناء لهذا الدين ولهذا البلد

---

٣٥ المصحف والسيف (85).
٣٦ المصحف والسيف (85).
٣٧ المصحف والسيف (128).
٣٨ شبه الجزيرة 746/2.
٣٩ الوجيز (185).
٤٠ شبه الجزيرة (812/2 813).
٤١ سورة آل عمران آية "110".
٤٢ تاريخ نجد الحديث (429).

الأمين، وأنتم مسؤولون عنه، وأنتم خدامه، فالأوامر التي تطبق على أهل البلد يجب أن تطبق عليكم، ولا جوز في أية حال تطبيق الأوامر على فريق دون آخر.

نحن نطلب منكم:

أولاً: إقامة الصلاة في أوقاتها، ولا يجوز التَّخلف عنها قط.

ثانياً: اجتناب جميع المحرمات، والابتعاد عن مجالسة الأشرار، ومخالطتهم، وعدم الجلوس في مجالس السوء والريب.

ثالثاً: عدم تقليد الأغيار بما يخالف آداب الشريعة السمحة، وصفوة القول: إنه يجب عليكم اتباع أوامر الحكومة، والعمل بها على شرط ألا تكون مخالفة للشرع، وما عهدنا أنها أصدرت أمراً يخالف الشرع قط.

وثقوا بأننا سنتولى أمر التفتيش عن ذلك بأنفسنا، ونقسم بالله أننا سنهاجمكم على حين غرة، فإذا رأيت أحدكم حاد عن الطريق السوي، وقام بأعمال تلزم إدانته بدأنا بإدانة رئيسه ثم بإدانة ذلك الشخص بدون هوادة ولا شفقة، وأعلمكم بأن الجزاء والقصاص لن يكون إلا صارماً"٤٣.

ويقول أمام المؤتمر الوطني سنة 1350هـ: "إن التقصير واقع وأنا مسؤول عن هذا التقصير، ولا أستطيع أن أهمل هذا الأمر، وقد كلفت بالبحث فيه حيناً هيئة الشورى وحيناً هيئة التحقيق، ولكننا لم نصل إلى نتيجة حاسمة فيجب أن تنظروا في هذه الأمور وأمامكم مسألتان:

ففي المحكمة قضايا مضت عليه سنتان أو ثلاث وهي واقفة معطلة وهذا أمر مشكل، ومن رأيي انتخاب هيئة من العلماء للنظر في هذه القضايا والبت في أمرها بتاً نهائياً.

ثم مسألة الشُّهود والقدح فيهم وهذا واقع في الحجاز واشتكى منه القضاة وهذا أمر مشكل فالإنسان الذي يصنع القبيح ويثبت عليه ذلك يقام عليه الحد، وكذلك ينظر في القدح الذي يقام، فإذا صح أقيم الحد على المقدوح به، وإذا لم يثبت يجازي المفتري، والحقيقة أن السواد من الدعاوي تأخر أمرها لهذا السبب، هذه الأمور في الحقيقة من أساس الدين فإذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر وأصلحنا المحاكم هانت الأمور واستقرت الأحوال"٤٤.

وأمام كبار رجالات الدولة والشخصيات والأعيان في الطائف سنة 1351هـ يقول: إن الذي دعاني لجمعكم في هذا المكان هو النصح لكم حتى لا يغتر السفيه بالحلم، ولا يسترسل في غوايته وأحذركم من أمرين:

الأول: الإلحاد في الدين والخروج عن الإسلام في هذه البلاد المقدسة فوالله لا أتساهل في هذا الأمر أبداً، ومن رأيت منه زيغاً عن العقيدة الإسلامية فليس له من الجزاء إلا أشده ومن العقوبة إلا أعظمها.

الثاني: السفهاء الذين يسول لهم الشيطان بعض الأمور المخلة بأمن البلاد وراحتها فهؤلاء شأني معهم شأن الديناميت مع النار.

الناس أحرار في مأكلهم ومشاربهم ومرازقهم، ونزههم، ومن اعتدي عليه فليراجعني لأنصفه، ولو جاءني أيٌّ إنسان وقال إن ولدك فيصل أخذ مالي واعتدى عليّ فإن رآني أنصفته منه علم أني أقول وأصدق في القول، وإن رآني أهملته وساعدت ولدي على ظلمه فعند ذلك له الحق عليّ، ولينعم كل إنسان بنعمة الإسلام، وغير هذا لا نعمة ولا حرية فمن كان مشارفاً بنظره من قرب أو بعد فليعلم أن الناس لم يتركونا رحمة أو عطفاً وإنما تركونا لأن الله أراد تأييدنا ونصرنا.

وقد أتيت بهذا البيان نصيحة لمن قد يغويه إبليس بوسواسه.

وإني إذا قلت فعلت، وإذا فعلت أمضيت ثم لا أبالي بما يكون، هذه نصيحتي يبلغها الشاهد منكم الغائب، وليعلم الجميع أني لا أحمل حقداً على أحد إلا على شخصين:

إما رجل ملحد في الدين، أو يقصد البلاد بسوء، فمن كان في نفسه شيء من ذلك فلا يأمن عقابي"٤٥.

هذا هو عبد العزيز: قوة في إيمان، علم وعقيدة، وعمل، ثم متابعة وتوجيه رجل قيم ومبادئ، وإنك لتعجب وأنت تتابع جهد عبد العزيز في إعادة صياغة إنسان هذه الجزيرة في الشمال وفي الجنوب، في الشرق وفي الغرب، كيف كان على علم ودراية بكل ما يجري في هذه البلاد الواسعة رغم قلة وسائل الاتصال وتواضعها وكيف كانت وسائله موفقة في الإصلاح الذي تم من خلال أجهزته وولاته أحياناً والاتصال المباشر بالجماهير أحياناً وكل ذلك لتحقيق هدف واضح المعالم وغايات نبيلة محددة - وهو يعلم قبل ذلك وبعده أن الناس - وأي ناس؟ - لم يتركونا رحمة وعطفاً - وإنما تركونا لأن الله أراد تأييدنا ونصرنا .

فرحم الله أبا تركي وجزاه خيراً على كل ما قدمه للإسلام والمسلمين، والحمد لله أن جهوده لم تذهب هدراً إذ جعل في بنيه وأبناء شعبه البركة فها هي مؤسسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تزال إحدى المؤسسات الكبيرة في الدولة تؤدي دورها المنوط بها على الوجه المطلوب.

العنصر الثاني عشر: الاهتمام بأمن المسلمين ووحدتهم

الملك عبد الملك عبد العزيز رحمه الله، قائد محنك، ومسلم واعي، كان يعلم أهمية

---

٤٣ المصحف والسيف (53).

٤٤ المصحف والسيف (68 69).

٤٥ المصحف والسيف (81 82).

الأمن، والوحدة فبذل غاية جهده لتحقيق ذلك وهو يردد قول الله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}٤٦.

وسأترك لأقوال الملك عبد العزيز وبعض المؤرخين والكتّاب عرض بعض الصُّور الجميلة لما تم على يدي عبد العزيز في هذا المجال.

يقول في كلمة له بالقصر الملكي بمكة سنة 1350هـ أمام كبار الحجَّاج: "... وإني والله لا أقبل على بلادي ولا على بلاد المسلمين مايضرُّ بهم، وإني أحترم الشائب منهم كأبي، والوسط كأخي والصغير كابني، وهذا ما أعاهد الله عليه ثم أعاهدكم عليه، والحقائق ظاهرة كالشمس"٤٧.

ويقول سنة 1351هـ أمام كبار الحجاج أيضاً: "أنا مسلم وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين، وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي في سبيل ذلك، أنا عربي وأحب عز قومي والتألف بينهم، وتوحيد كلمتهم وأبذل في سبيل ذلك مجهوداتي، ولا أتأخر عن القيام بكل ما فيه المصلحة للعرب وما يوحد أشتاتهم ويجمع كلمتهم"٤٨.

ويقول رحمه الله: "لقد حكمتْ هذه البلاد حكوماتٌ قوية، ذات طول وحول قبلنا ولكنها لم تقدر على تأمين الطرق بين مكة وجده فضلاً عن بقية الأماكن والطرقات، أما اليوم فإن الأمن سائد في طول البلاد وعرضها قد لمستموه بأيديكم وشاهدتموه بأعينكم وهذا من فضل ربي علينا، ونحن لا نقول هذا للافتخار وإنما للإشارة إلى أننا - أسرتي وشعبي - جند من جنود الله نسعى لخير المسلمين، ولتأمين راحة الوافدين إلى بيت الله الحرام وأداء مناسكهم..."٤٩.

ويقول الملك عبد العزيز سنة 1359هـ أمام كبار الحجاج: "كل ما ندعو إليه هو جمع كلمة المسلمين واتفاقهم ليقوموا بواجبهم أمام ربهم وأمام بلادهم والذي نشهد الله عليه ونحن أوسطكم في الإسلام وأوسطكم في العروبة أننا ما ننام ليلة إلا وأمر جميع المسلمين يهمنا، يهمنا أمر إخواننا السوريين، وأمر إخواننا الفلسطينيين وأمر إخواننا العراقيين، وإخواننا المصريين تهمنا حالتهم ويهمنا أمرهم ويزعجنا كل أمر يدخل عليهم منه ذل أو خذلان لأننا نرى أنهم منا ونحن منهم كما تهمنا جميع بلاد المسلمين وإننا نرجو الله أن يوقظ المسلمين من غفلتهم ليتعاضدوا ويتعاونوا"٥٠.

واسمع كلام الريحاني الوافد من الغرب صاحب الجولات في البلاد العربية والمشاريع العريضة التي تساقطت - بعد أن أقرت من ملوك العرب - على صخرة عبد العزيز "حنا أهل نجد نبغي المحافظة قبل كل شيء على أمرين: ديننا وشرفنا"، "ما رأيك يا حضرة الأستاذ - عبد العزيز يخاطب الريحاني - لا تقل لي أن لا دخل لك بالسياسة، وأن سياحتك في بلادنا سياحة علمية فقط، حنا نفهم ومد يَده على لحيته وهو يبسِم بسمته الخلابة. لا تخدعنا يا أستاذ ٥٢٥١.

يقول الريحاني في وصف ما تحقق على يدي الملك عبد العزيز رحمه الله من أمن:

"... عدلُ ابن سعودٍ كلمةٌ تسمعها في البحر، وفي البر، وفي طريقك إلى نجد قبل أن تصل إليها، كلمة يرددها الركبان في كل مكان يحكمه سلطان نجد من الأحساء إلى تهامة ومن الربع الخالي إلى الجوف... أحكام الشرع... تنفذ في نجد بلا تردد ولا محاباة ولا مرافعات لولبيات طويلات، حكم ابن سعود لا يعرف في سبيل العدل كبيراً أو غنياً... وقف يوماً أحد... الحطابين ومعه أربعة جمال محملة ساومه قيمُ السلطان عليها فطلب الجمالُ روبيتين ثمن كل حمل وسعره الاعتيادي نصف روبية... فقال القيم وكان الجمال قد ولى بأحماله: ..."لولا الشيوخ والله لأدبته"، ولو كنا في معسكر تركي أو أوربي وكان الجيش بحاجة إلى الحطب فهل تظن أنهم كانوا يعاملون هذا الحطاب مثل هذه المعاملة... لولا الشيوخ لفعل الخدامون بالبدو الحطابين... الفعلات.. وإذا كان العدل أساس الملك فالأمن أول مظهر من مظاهر العدل. وفي نجد اليوم من الأمن ما لا تجده في بلادنا أو في أي بلاد متمدنة لا يظنني القارئ مبالغاً بما أقول.. القوافل تسير أربعين يوماً في ملك ابن سعود من طرف إلى طرف من القطيف مثلاً إلى أبها، أو من وادي الدواسر إلى وادي السرحان دون أن يتعرض لها أحد من البدو أو الحضر، دون أن تسأل من أين وإلى أين... كانت الطرق في الإحساء في عهد الأتراك لا تعبر إلا بقوة عسكرية أو بدفع "الخوة" وكانت الطريق بين العقير والحسا وهي طريق التجارة إلى نجد الأسفل، أكثرها وأشدها أخطاراً فكان التاجر العربي المسلم الذي يروم الوصول إلى الهفوف - مسافة أربعين ميلاً - يضطر أن يدفع "الخوة" كلما اجتاز

---

٤٦ سورة آل عمران آية (103).

٤٧ المصحف والسيف (77).

٤٨ المصحف والسيف (84).

٤٩ المصحف والسيف (89).

٥٠ المصحف والسيف (119).

٥١ ملوك العرب (524، 529، 544).

٥٢ وأنَّي له ذلك أبا تركي وهو مع من حفظ الله فحفظه أمام تلك التحديات العظام، والملاحظ أن الملك عبد العزيز رحمه الله فيمن اتصل به يأخذ منهم ما يريد ولا يأخذون منه إلا ما يريد هو.

خمسة أو عشرة أميال من هذه الطريق المخيفة، طريق التجار والأموال.
جاءها العجمان من الجنوب.
وبنو مرة من الربع الخالي.
والمناصير من قطر وما دونها.
وبنو هاجر من الشمال من نواحي القطيف والكويت.
وجاء من داخل البلاد من وراء الدهناء الدواسر الأشاوس.
فحاموا كلهم على هذه الطريق وربطوها، وقطعوها، وتقاسموا أموال قوافلها كان يجيء التاجر من البحرين مثلاً فيدفع قبل أن يطأ برجله العقير خوة للعجمان.
ومن العقير إلى النخل خمسة أميال، وخمسون ريالاً خوة للمناصير، ومن النخل إلى أم ذر خمسة أميال، وخمسون ريالاً خوة لبني مرة ومن أم ذر إلى العلاة خمسون ريالاً خوة لبني هاجر ومن العلاة إلى... الخ، وإذا فاز التاجر المسكين بحياته وبقي في كيسه، فمن المؤكد أن أحماله لا تصل كلها إلى الحسا، وكان إذا خرج عسكر الترك لتأديب أحد من هؤلاء العشائر يطاردهم البدو فيغلبونهم ويأخذون خيلهم وثيابهم..
هذه هي حال الأحساء قبل أن تسقط في يد ابن سعود، أما اليوم فقد مررنا في النفود بجمل بارك رازح تحت حمله فسألت عن صاحبه فقيل لي إنه سار في طريقه، وسيرجع بعد أن يصل إلى البلد بجمل آخر يحمل البضاعة وقد يموت الجمل الرازح ويبقى حمله على قارعة الطريق عشرة أيام فيعود صاحبه فيجده، وما مسته يد بشرية كما تركه في مكانه كيف تمكن ابن سعود من إقامة مثل هذا الأمن وتوطيده في بلاده؟
بأمرين:
أولهما: الشرع.
وثانيهما: تنفيذ أحكام الشرع تنفيذاً لا يعرف التَّردُّد ولا التمييز ولا الرأفة"٥٣.
هكذا استطاع الملك عبد العزيز رحمه الله إعادة صياغة إنسان هذه الجزيرة بوسائل مضمونة النتائج فتغيرت الأوضاع، وعاش الناس في أمن واستقرار، والوسائل التي غير بها عبد العزيز أوضاع الجزيرة باقية صالحة لكل زمان ومكان ولتحقيق ذات النتائج متى مكن لها كما أراد الله وذات الوسائل هي التي استمرت في إعطاء أفضل النتائج إلى اليوم في المملكة العربية السعودية رغم تطور المجتمعات البشرية الاجتماعي والأخلاقي وانفتاح العالم على بعضه بشكل مذهل.
عن الأمن في المملكة وفي حدود 1392هـ يقول أحد كبار رجال الأمن في أمريكا وقد سئل هل يركب سيارة مدرعة عند زيارته للسعودية فقال مانصه: "في هذا البلد فقط يشعر الإنسان بالأمن"٥٤.
ويقول الشيخ التويجري: "أقرَّ - يعني الملك عبد العزيز - الأمن في شبه الجزيرة العربية فسعد بذلك حجاج بيت الله الحرام، وسعد به أيضاً كل المسلمين، وبفقدان الأمن والاستقرار في حكم مترهل تفقد الأمم مقومات حياتها، حالة عامة متى وُجدت وجد معها الضياع في كل ما هو وراء سرير نوم الحاكم ولو لم توجد مثل هذه الحالة لما سقطت دول، وانهارت عروش... والأمن في هذه الحالة الفريدة ممكن أن يقول عنه قائل إنه واقع لا نبخسه حقه وقدره الكبير لكنه صار إلى ماض مضاف إلى التاريخ بوسائله، وإنسانه، وأيامه، بالنسبة لأمن الشعوب اليوم التي تداخلت فيها ومعها مسارات واسعة في العقل والفكر والأرض والفضاء فمن تجاوز في حساباته مع الأمن هذه الحقائق، ومقدار نفسه وظل في نعاس في عالم يقظ ستوقظه الأحداث من حوله أو فيما هو بعيد عنه إذا افترضنا أن هذا العالم اليوم شيئاً بعيداً في عصر الاتصالات والعقول الحاسبة"٥٥.
ومع تقديري وتأييدي لما ذهب إليه الشيخ التويجري من استحثاث جيد وتحذير يقظ فإنني على ثقة أنه يتفق معي تماماً - وهو ما يعتقده كل مؤمن بالله - أن إنسان هذا العصر وغداً وإلى أن تقوم الساعة ومستحدثاته لن تستعصي على شرع الله الذي جاء من لدن حكيم خبير وهو صالح لكل زمان ومكان والبقاء له وحده، هذا الشرع وراء جواب ذلك المجرم الذي حينما سئل في بلد مجاور جداً - مارس فيه عدداً من السرقات في مدة قصيرة: هل سبق أن مارست هذا العمل في السعودية التي عشت فيها سنوات كثيرة - فكان جوابه "يا معودين هناك يقطعون اليد"٥٦.
هذا الشرع والثِّقة به وتطبيقه قولاً وعملاً هو السبب فيما تحقق من تغيير على يدي الملك عبد العزيز مما ظن أنه أصبح أمراً لا مناص منه وحتى وصل الاستسلام له أن أفتى بعضهم بإسقاط فريضة الحج باعتباره أمراً غير مستطاع كما ذكر ذلك التويجري. تحقق ذلك الأمن علي يدي الملك عبد العزيز رغم التَّحديات العظيمة التي واجهها.. جهل، وفقر، وقلة إمكانيات، وقوى

---

٥٣ ملوك العرب (556 560).
٥٤ نشر هذا الجواب في حدود عام 1392هـ في وسائل الإعلام ويتعذر عليَّ الآن توثيقه.
٥٥ لسراة الليل هتف الصباح (637 649).
٥٦ نشر ذلك التحقيق على لسان أحد أعضاء مجلس الأمة في ذلك البلد في مجلة المجتمع الكويتية قبل عدد من السنوات واعتذر عن عدم التمكن من التوثيق لعدم وجود العدد تحت يدي عند إعداد هذا البحث.

معادية ومؤامرات تحاك في الداخل والخارج.

العنصر الثالث عشر: الصبر، والأناة، والحكمة، والواقعية في معالجة أمور الدولة

الأناة والحلم خصلتان يحبهما الله ورسوله ٥٧ وقد رزق الله الملك عبد العزيز رحمه الله قدراً عظيماً من الصبر، والأناة، والحلم، والواقعية في معالجة أمور الدولة وإليك بعض ما يؤكد ذلك.

يقول كشك وهو يعلق على بعض صور صبر الملك عبد العزيز: هذا العملاق كان يتمتع بقوة خارقة في السيطرة على جسده الكبير.

ففي شرخ الشباب، وعندما اقتحم بيت عجلان كان عليه أن ينتظر للفجر حتى يقوم بالخطوة التالية، وهي ساعات تتوتر فيها أعصاب أشجع الشجعان، ويفر النوم من كل عين فهو داخل بيت عدوه، في مدينة يسيطر عليها هذا العدو وهو على مرمى السهم من الحصن. وصرخة امرأة ولو من الرعب، يمكن أن توقظ المدينة كلها وتثيرها ضد هذا المجهول عند الحريم، صرخة واحدة أو اشتباه حارس، أو غلطة من أحد المرافقين يمكن أن تضع حداً لحياته ومغامراته، والقضية التي خاطر في سبيلها، ولكن لأنه لا يمكن فعل شيء حتى الفجر. والانتظار يرهق الجسد ويتلف الأعصاب، ومعركة الفجر تحتاج لطاقته كاملة. إذاً لابد من النوم.

ليتمرد الجسد، لتصرخ الأعصاب محتجة ولكنه قرار عقلي، وإذا قرر عقل ابن سعود فلابد أن يطيع الجسد. وقد كان ونام.

وهذا في اعتقادي أشجع عمل قام به في مغامرة ليلة المصمك أو فتح الرياض وقد فعلها مرة أخرى عندما أغلق أبواب قصر ابن عقيل عليه هو وجنده ونام وابن رشيد يزحف بخمسة عشر ألف جندي من الأتراك والعرب بمدافعهم.

وعندما حانت لحظة المغيب ووصل الجسد إلى نهايته المحتومة.. انقلب الوضع، فبعدما كانت المشكلة هي كبح الجسد المتفجر بالقوة أصبحت عند الغروب هي مقاومة فتور هذا الجسد وضعفه، وقد ظل العقل الشامخ مسيطراً في الحالتين..

وهناك روايات كالأساطير ولكنها غير مستغربة من محارب مثله مات وفي جسده 43 طعنة وأشهرُ تلك الأساطير حادثة انفجار حزام الرصاص في بطنه... ولكنه كتم الأمر طول الليل وعندما عرض إصابته على مرافقيه قال لهما لو علم أحد بها قتلتكما ودخل الأحساء راكباً وجلس في القصر، وخطب وتزوج في تلك الليلة لكي لا تتحول الهزيمة إلى كارثة بإشاعة إصابته أو موته... ولنا إذاً أن نصدق حادثة الرصاصة التي أصابته في فخذه فلم تصدر منه همسة ولا حركة يعرف منها الجالسون حوله هل أصيب أم أخطأته الطلقة٥٨.

وإذا أردت أن تقف على أعجب ما يتصور من التحمل والصبر والأناة إلى أن يصبح الحسم أمراً لا مفر منه ولا مندوحة عنه فانظر "من مذكرات تركي الماضي 88 إلى 115" في المراسلات التي تمت بين الملك عبد العزيز ومندوبية وولاته في تهامة حول مسألة الإدريسي.

ومن أقوال الملك عبد العزيز رحمه الله التي تدل على ما منحه الله من حلم وصبر وواقعية قوله "العرب اليوم هم كالطفل الصغير، يحتاجون إلى عناية شديدة، فمن الواجب على الذي يتولى أمرهم أن ينصحهم، ويرشدهم إلى الطريق الصواب، وقد عملنا الواجب في هذا الصدد، ولكن إذا تمادى البعض في غيهم وظهر أن المصلحة العامة مهددة اضطر ولي الأمر للضرب على الأيدي وسفك الدماء فهو في عمله هذا كمثل الطبيب الذي يستعمل أنواع الأدوية التي يحتاج إليها المريض، ويضطر في بعض الأحيان إلى بتر عضو من الأعضاء حفظاً لسلامة المجموعة، وقد قالت العرب في أمثالها لهذا الصدد "آخر الدواء الكي" والقتل أنفى للقتل.. وقال تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ} ٥٩. يعلم الله أن كل جارحة من جوارح الشعب تؤلمني، وكل أذى يمسها يؤذيني وكذلك الشعب يتألم إذا أصابني شيء ولكن المصلحة العامة تضطرني لأن أقضي على من لا يصغي للنصح والإرشاد، وبأن أتجرع ألم ذلك حفظاً لسلامة المجموع، إنني أتألم جد الألم إذا رأيت بعض الأشخاص يشذون عن الطريق السَّوي فيصغون لوساوس الشيطان، ومما لاشك فيه أن المصلحة العامة هي فوق كل مصلحة، ولذلك فإن مصلحة المسلمين ترخص الأنفس في بعض الأوقات"٦٠.

ويقول: "... أنا أتأخر وأتقدم بقدر الحاجة ولا أعمل عملاً أخرب به بلادي، وإذا جاء وقت العمل واللقاء فالعار على الذي يتأخر... أما الهرج والمرج والكلام الذي يضرنا أكثر مما ينفعنا فهذا ما لا دخل لي فيه"٦١.

ويقول: "... تعلمون أننا ما دخلنا الحجاز إلا بعد أن حوربنا في وطننا، وإنا والله لا نقبل على أمر إلا إذا بلينا فيه وإذا بلينا في شيء دافعنا عن ديننا وأنفسنا، وقوميتنا ووطننا فيأخذ الله بيدنا وهذا فضل من الله علينا"٦٢.

ويقول رحمه الله: "إن أحب الأمور إلينا أن يجمع الله كلمة المسلمين فيؤلف بين قلوبهم ثم

---

٥٧ جاء ذلك في حديث ابن عباس عند مسلم. كتاب الإيمان 48/1 رقم17 ترتيب عبد الباقي.

٥٨ السعوديون والحل الإسلامي (63 66).

٥٩ سورة البقرة آية (178).

٦٠ المصحف والسيف (58).

٦١ المصحف والسيف (76).

٦٢ المصحف والسيف (80).

بعد ذلك أن يجمع كلمة العرب فيوحد غايتهم ومقاصدهم ليسيروا في طريق واحد يوردهم موارد الخير، وإذا نحن أردنا ذلك فلسنا نروم إتمامه في ساعة واحدة لأن ذلك يكون مطلباً مستحيلاً كما أننا لا نرمي من وراء ذلك إلى التحكم بالناس وإنما غايتنا أنه إذا لم يكن لنا من وراء هذا التضامن خير فلا يكون لنا من ورائه شر على الأقل.

كلكم يذكر حوادث العام الماضي.. وهذا السيد عبد الله بن وزير وهذا السيد الحسن الإدريسي - الجالسان الآن إلى جانبي - ماكنا نظن أن يكون بيننا وبينهم عداوة وبغضاء ولكن الأشرار فرّقوا بيننا، والله عز وجل قد جعل هذا التباغض ألفة بيننا وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.

لقد خشي المسلمون عاقبة التنابذ الذي حصل بيننا، ولكنه أفضى إلى خير جم طرب له المسلمون.

جاء ابن الوزير إلى هنا وحدثني في هذا المكان الجالس فيه الآن بشأن الخلاف قلت له ماذا تبغون؟ فإذا أنتم قتلتموني من يخسر؟ أنتم وحدكم؟.. لا.. لا الخسارة علينا وعليكم على حد سواء. ولما عرفت أننا وإياكم متفقون على أن النتائج هي الفرقة والخسران، وإن هذا الخسران واقع علينا جميعاً أمرت بالقرطاس والقلم وجلست أنا وإياه وحدنا ووضعنا مواد المعاهدة التي اطلعتم عليها والتي قابلها المسلمون بارتياح فإلى مثل هذا التضامن أدعو المسلمين إليه والعمل به٦٣.

ولما ورده اقتراح بهدم مدينة من المدن وإزالتها من الوجود كان جوابه رحمه الله:

ما هو بخاف أن هدمها مشكل:

أولاً: من طرف الله وخوفاً منه تعالى في الأمور التي تتجاوز الحد، أيضاً فايهة هذه عند الدول وعند الأعداء ما هي فايهة طيبة ويحصل منها اعتراضات قوية فتركها وتحصينها وإعداد السكان فيها هو الأفضل٦٤.

وفي قصة المحمل المصري المشهورة - وهو بدعة لم تكن في عهد النبوة ولا الصحابة ولا الدولتين الأموية والعباسية - وصل الخبر إلى فؤاد الأول - ملك مصر يومئذ - فكان لذلك ردة فعل كبيرة لديه لكن الملك عبد العزيز عالج الأمر بحكمة فأرسل أكبر أبنائه سعود إلى مصر للعلاج ولتصفية الجو مع القصر الملكي فيها ولكن الجفوة استمرت فدعا الملك عبد العزيز إلى تحكيم الشرع. وقال في حديث أفضى به إلى صحفي مصري: لا خلاف بيني وبين مصر وأمر المحمل متروك إلى الدين وإلى حكم الشرع في مصر علماء، علينا أن نستفتيهم وأنا معهم فيما يأتون به من الكتاب أو السنة أبلغ مصر عني أن حكومتي على استعداد لكل تساهل تطلبه الحكومة المصرية يتفق مع الشرع، يقول الزركلي وقد عاد ما بين البلدين الشقيقين إلى ما تقتضيه طبيعة الإخاء٦٥.

ووصفته الكاتبة الفرنسية أندريه فيوليس سنة 1937م فقالت: ... وهو بعيد المطامح طويل التروي، لا يحب المجازفة ويعتقد أن الاستعداد للأمر ودراسته هما الوسيلتان للنجاح.

ويقول الأميركي "ميجر جنرال باتريك ج هيرلي": الملك عبد العزيز أحكم وأقوى من عرفت من قادة البلاد العربية، وإنه لرجل بعيد النظر نافذ العزيمة مستعد لقيادة شعبه إلى التمشي مع ركب التقدم العلمي..٦٦.

---

٦٣ المصحف والسيف (93).

٦٤ لسراة الليل هتف الصباح (653).

٦٥ الوجيز (127 128).

٦٦ الوجيز (191 192).

تابع الدين . والشرف . والمروءة في حسِّ الملك عبد العزيز رحمه الله
العنصر الرابع عشر: تفعيل القيم الإيمانية والمهنية في نفوس الأمة
الملك عبد العزيز رجل مؤمن، وسليل أسرة إيمان ومُلكٍ ودعوةٍ وقد انتدب نفسه رحمه الله لإعادة بناء دولة العقيدة، وهو يعلم حق العلم دور الإيمان وقيمه في حياة البشر.
يعلم أن "الإيمان ضرورة لا غنى عنها:
ضرورة للفرد ليطمئن، ويسعد، وتزكو نفسه.
وضرورة للمجتمع ليستقر، ويتماسك، ويرتفع، ويرقى.
فالفرد بغير إيمان حيوان شره، أو سبع فاتك، لا تستطيع الثقافة ولا القانون وحدهما أن يحدا من شراهته.
والمجتمع بغير إيمان مجتمع غابة وإن لمعت فيه بوارق الحضارة، الحياة والبقاء فيه للأشد والأقوى لا للأفضل، ولا للأتقى، مجتمع تعاسه، وشقاء وإن زخر بأدوات الرفاهية وأسباب النعيم، مجتمع تافه رخيص لأن غايات أهله لا تتجاوز شهوات البطون والفروج.
والعلم المادي وحده ليس بمستطيع أن يحقق الطمأنينة والسعادة للناس إن العلم هيأ للإنسان الحديث وسائل الحياة، ولكنه لم يهده إلى غاياتها، إنه زين له ظاهرها ولكنه لم يصله بأعماقها.
وما أتعس الإنسان إذا أغرقته الوسائل فذهل عن الغايات، وإذا شغل بالسطح عن القاع، وبالقشر عن اللباب. العلم المادي أعطى الإنسان أدوات كثيرة، ولكنه لم يعطه قيمة كبيرة. أو هدفاً رفيعاً يحيا له ويموت عليه، ذلك أن هذه ليست وظيفة العلم وليست من اختصاصه وإنما ذلك من اختصاص الإيمان والدين.
ومفتاح الشخصية الإسلامية والعربية على وجه خاص هو الدين هو الإيمان هو عقيدة الإسلام.
ومهما نحاول أن نزكي هذه الشخصية، وأن نفجر طاقاتها المكنونة بغير مفتاحها الأصيل - وهو الدين والإيمان - فإننا نحاول عبثاً كمن يبني على الماء، أو يكتب في الهواء.
بعقيدة الإسلام انطلق العرب من جزيرتهم، يخرجون العالم من الظُّلمات إلى النور...
وبعقيدة الإسلام انتصرت أمتنا العربية على أوربا وقد جاءت بقضها وقضيضها في تسع حملات صليبية.
وبعقيدة الإسلام انتصرت على غزو التتار الذين زحفوا على هذا الشرق كالريح العقيم.
الإيمان أساس شخصية المسلمين، وسر قوتهم، ورافع رايتهم، وهو سر مجدهم في الماضي، ومناط آمالهم في المستقبل"[١].
الإيمان بما يحدثه في النفس البشرية من قيم وأخلاق هو وحده القادر على إعادة صياغة الإنسان بما يتفق وآدميته والتكريم الذي أراده الله له.
الإيمان هو القوة التي لجأ إليها المسلمون عبر تاريخهم في الملمات فاستعادوا صحتهم، وقوتهم، ووجودهم.
الإيمان بقيمه وبما يحدثه في النفس البشرية هو سر انتصار الملك عبد العزيز رحمه الله وإعادة الأمن والأمان إلى شبه الجزيرة فانطلق إنسان هذه الجزيرة يعمر الأرض، ويحقق العدل والأمن في ظل توجيه دائم من جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله لكل شرائح المجتمع وفي مختلف المواقع وخاصة الرجال الذين سيعهد إليهم وظائف الدولة، فتحدد واتحد الهدف، وسمت الوسائل، وسارت القافلة إلى غايتها دون تعثر أو شوائب.
وإليك قليلاً من كثير من تلك الجهود التي بذلها بطل الجزيرة في توجيه أمته وتفعيل قوى الإيمان في نفوس أفرادها والعمل على إكسابهم كل ما ينفعهم في بناء هذا الصرح الشامخ.
يقول في المؤتمر الوطني: "الغاية من هذا الاجتماع هي:
1 - اتباع ما جاء في كتاب الله، وسنة رسوله عليه السلام تنفيذاً لما أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم **{وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ}** [٢] وللمشاورة فوائد جمة لا تحصى، ولو لم يكن من مصالحها إلا تقويم السنة لكفى...
2 - إن الإنسان أحب ما إليه في حياته أن يجتمع مع صديقه، وأن يتجاذب وإياه أطراف الحديث، وبهذا يحصل التعارف، وتظهر الحقائق، ويقع التناصح، وقد كان السلف الصالح يسيرون على هذا الطريق في أعمالهم، فقد كان أمرهم شورى بينهم، وكان من أمرهم ما كان وكانوا على ضعف فصاروا إلى قوة.
3 - إن الناس الذين لا نشك أن الله عالم بقلوبهم، وأنهم أعداء بعضهم البعض كما قال الله تعالى **{تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}** [٣] قد بلغوا بالشورى مراتب عالية في الدنيا، ونحن المسلمين أمرنا الله تعالى بالمشورة، والمشورة لها أساس وهو النصح بالتزام الحق، ولها مزية ورونق تحصل بهما الفائدة، أما السير على غير مشورة فهو مجلبة للنقص، مجلبة للهوى - هوى النفس - ونحن نريد المشورة أن تجمع بين السنة وبين ما أمرنا الله به في قوله: **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ**

---

١ الإيمان والحياة (9 - 13) بتصرف.
٢ سورة آل عمران آية (159).
٣ سورة الحشر آية (14).

مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}٤ وأعظم القوى التناصح، والنية الصالحة لأن كل شيء أساسه الإخلاص والنصح هذا هو اجتهادنا في المسألة... وأنا أشعر بجذل وسرور كلما رأيت الجميع موفقين في أعمالهم وأشغالهم يجب أن يعلم كل فرد أن كل جماعة لا يكون لها عاقلة لا تجد الراحة والهناء...

وهنا لابد لي من التلميح بأنه يجب على كل إنسان أن يقول ما في ضميره بصراحة تامة وألا يخشى في الحق لومة لائم.

يجب أن يصرح كل فرد بما في نفسه يقول ما يعتقد فيه منفعة، فهذا أمر واجب على كل إنسان لأن مجال البحث والتدقيق يوصل إلى نتائج حسنة، فعلى الإنسان الاجتهاد ومن الله التوفيق.

نعم من واجب الإنسان النصح والإرشاد، وألا يتقيد أحد بأن هذا مخالف أو ذاك موافق... يجب أن ننظف أنفسنا من الأدران، ونطهرها من كل الأمور المختلفة، وأن ندنو إلى ما يرضيه، ونخاف عقوبته، إذ ليس هناك عقوبة أشد من عقوبة الدين، إذا وقع الشر في القلوب خربها وهذه البلاد يجب أن تكون قدوة صالحة للمسلمين في كل عمل من أعمالها فنحن نطلب المساعدة في هذا الشأن منكم ومن الأهلين نريد أن نكون عوناً للحكومة في هذا الأمر لأنه إذا كان الجميع اتفقوا على درء المفاسد سهل العمل، أما إذا كانت إجبارية صعب حلها وطال أمرها.

فإذا عملنا هذا قمنا باللازم وهذا أهم ما يجب العناية به لأن الدنيا إذا كثرت خبرتها والدين أهمل فلا فائدة ترجى منها بل هذا أساس البلاء أما إذا عمر الدين ونفذت أوامره واجتنبت محارمه صلحت الدنيا فأنا أرجو أن تفكروا في طاعة الله ومخافته واتباع سنة رسوله وأرجو أن تهتموا بالأمر اهتماماً شديداً"٥.

ويقول مخاطباً أول دفعة من خريجي المعهد العلمي السعودي:"أيها الأبناء إنكم أول ثمرة من غرسنا الذي غرسناه بالمعهد فاعرفوا قدر ما تلقيتموه من العلم، واعلموا أن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، وأن العلم كما يكون عوناً لصاحبه يكون عوناً عليه.

فمن عمل به يكون عوناً له، ومن لم يعمل به يكون عوناً عليه، وليس من يعلم كمن لا يعلم قليل من العلم يبارك فيه خير من كثير لا يبارك فيه والبركة في العمل.

جهلوا تعاليم الإسلام الحقة وبهرتهم المدنية الغربية فنظروا إلى كل ما يصدر عن الغرب نظرة إكبار فأرادوا محاكاته، وحبذا لو حاكوه فيما يعلي من شأنهم أرادوا محاكاته بل حاكوه فعلاً ولكن فيما يئن منه عقلاؤهم... وأقول لكم والله ثم والله ما حرمت الشريعة شيئاً فيه نفعنا ولا أحلت شيئاً فيه خزينا، وإن النظرة السليمة لتدرك ذلك.."٦.

رحم الله الملك عبد العزيز فقد قال، وعمل، وحذر في وقت مبكر جداً ومع أول الغرس من مثل هذا التوجه الفكري الخطير - والذي كانت نتيجته مسخاً - عمل على وجوده في صفوف المسلمين بمختلف الوسائل الاستعمارية والفكرية٧ ثم ارتفعت بعد الملك عبد العزيز أصوات كثيرة أدركت الخطر وشاهدت آثاره السيئة بأم عينها فحذرت المسلمين لكن نهج الملك عبد العزيز انفرد بأصالته وسلامة وسائله واستقلاله فهو نابع من الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح. ولهذا حقق الله على يديه خيراً كثيراً - رغم أنوف الحاقدين والحاسدين - وما على ورثته - قادةٍ، وشعبٍ - إلا أن يشكروا الله على هذه النعمة ويحوطوها بكل جدية من كل خطر، فهي مصدر عزنا، ونصرنا، ووحدتنا، وهيبة الأعداء، وكشف الزنادقة والمنافقين.

ويقول الملك عبد العزيز أمام كبار رجال الدولة، والشخصيات، والأعيان في الطائف سنة 1351هـ..

"وإني أوصيكم بتقوى الله، والنظر في حالة وطنكم وبلادكم ورفع أحوال الناس ومظالمهم إليّ لأن الملقى على عاتقي من الأمور عظيم وبعضكم به أبخص، وإني مع كل ذلك أسأل عن أحوال الناس، وأتفقد مصالحهم بقدر الجهد والاستطاعة، وإذا ما اطلعت على شيء عينت له هيئة مخصوصة منكم للنظر في ذلك، ثم أشرف على أعمالها بنفسي، وأتراجع وإياهم في خصوصها حتى يبت في أمرها بما جاء في كتاب الله، ووالله – يا أهل هذا البلد الطاهر المقدس - أرى الكبير فيكم كأبي والوسط كأخي، والصغير كابني، وإنَّ الذي أقول هو الذي أعتقده والله على ما أقول شهيد، وإني أرى كثيراً من الناس ينقمون على ابن سعود، والحقيقة ما نقموا علينا إلا لاتباعنا كتاب الله وسنة رسوله، ومنهم من عاب علينا التمسك بالدين وعدم الأخذ بالأعمال العصرية فأما الدين فوالله لا أغير شيئاً مما أنزل الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أتبع إلا ما جاء به وليغضب علينا من شاء وأراد وأما الأمور العصرية التي تعيننا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذها ونعمل بها ونسعى في تعميمها، أما المنافي منها للإسلام فإننا ننبذه ونسعى جهدنا في مقاومته لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام، ولا عز لنا إلا بالتمسك به.

ويجب أن تحرصوا على العمل، والعمل لا يكون إلا بالتساند والتَّعاضد، وإخلاص النية،

---

٤ سورة الأنفال آية (60).

٥ المصحف والسيف (66 - 68).

٦ المصحف والسيف (71).

٧ من أفضل من تتبع مثل هذا الغزو ونبه عليه د0 محمد محمد حسين في كتبه وخاصة كتابه "الإسلام والحضارة الغربية" فانظره لزاماً.

والإنسان وحده لا يستطيع أن يعمل، وإذا عمل فيكون عمله ضعيفاً، والضعيف ضعيف على كل حال، ونحن نحتاج إلى القوة في كل شيء، وكلنا أمة واحدة عربية، ديننا الإسلام، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والعرب قبلنا عملوا الشيء الكثير، والتاريخ أكبر شاهد، والإسلام يحضنا على العمل **{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ}** ٨، يجب أن يكون العمل خالصاً لله لا رياء فيه ولا نفاق ولا غش ولا خداع، وإنكم والله إذا عملتم ذلك فستنجون، وأن العمل يفيدكم ويفيد بلادكم وشعبكم، ويقربكم من الله ولا يوجد شيء أحسن من هذا..

أنتم رؤساء البلاد وقادة الأمة وكبراؤها، وأدرى بما يحسون به وما يشعرون ويجب عليكم أن ترفعوا إليّ كل ما يتظلمون منه وترشدوني إذا رأيتموني ضللت عن طريق الحق، وإذا لم تفعلوا ذلك فأنتم المسؤولون وإني أطلب منكم ومن غيركم أن من رأى مني شيئاً مخالفاً فليوضحه لي وليرشدني إلى طريق الحق وليكن كما قال عمر بن الخطاب لمن أراد أن ينصحه "فليكن ذلك بيني وبينه" فو الله إذا رأيت الحق اتبعه لأني مسترشد ولست بمستنكف، ومن رأى شيئاً وكتمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

أما المظلمة التي تصلني فإني لا أتركها بل أبحثها وأحقق فيها، والتي لا تصلني فالذنب فيها على من رأى وكتم، وإذا علمت به فسيكون جزاؤه عندي أعظم من جزاء غيره.

وإني أحثكم على العمل الذي فيه اكتساب معيشتكم، فابذلوا كل ما في وسعكم لذلك، وهذه أرض الله واسعة فاسعوا في مناكبها ولا تركنوا للكسل والخمول فإن عاقبتهما وخيمة"٩.

ويقول في حفل في جدة سنة 1355هـ أمام وجهاء المنطقة وأعيانها: "... إن التناصح ضروري للمسلمين، ولكن يجب على الإنسان ألا ينسى نفسه ليكون لنصحه أثر في القلوب **{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ}** ١٠.

فالواجب على المسلم أن يحرص على دينه، وعلى نصيحة المسلمين وأن يقدم الخير على الشر كل هذا من الله **{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}** ١١ والأمان جند من جنود الله، والخوف جند من جنود الله فالإنسان لا يأمن إلا بأمن من الله ويجب أن نعتقد أن ما ترونه من الأمن الآن ليس هو إلا نعمة من الله أنعم بها على المسلمين فيجب علينا أن نشكر الله على هذه المنة الكبرى والنعمة العظمى وإن أشد ما يخاف على المسلمين الشرك **{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً}** ١٢.

وإن ذنب الشرك عظيم وإنه محنة وبلاء إنه كفر وليس بعد الكفر ذنب فيجب أن يتنبه المسلمون"١٣.

ويقول رحمه الله في حفل أقيم على شرفه سنة 1355هـ بمناسبة سفره إلى الرياض: "إن الدّين النصيحة والنصيحة واجبة للبار والفاجر، والكبير والصغير، والغني والفقير لا لنفر دون آخر ولا لشعب دون غيره، إنّ النصيحة واجبة للعالم أجمع.

إن على الشعب واجبات، وعلى ولاة الأمور واجبات، أما واجبات الشعب فهي الاستقامة، ومراعاة ما يرضي الله ورسوله، ويصلح حالهم والتآلف والتآزر مع حكومتهم للعمل فيما فيه رقي بلادهم وأمتهم.

إن خدمة الشعب واجبة علينا لهذا فنحن نخدمه بعيوننا وقلوبنا، ونرى أن من لا يخدم شعبه ويخلص له فهو ناقص.

شعبنا العرب فنحن من العرب وإليهم. وخدمة الإسلام والعرب واجبة علينا بصفة عامة، وخدمة شعبنا وأمتنا واجبة علينا بصفة خاصة، ولابد أنكم سمعتم أننا الزمنا ولاة الأمور بالنظر في شؤون الرعية، وجعلناها أمانة في أعناقهم فعليهم أن يقوموا بالواجبات والنصح للشعب، وأن يجتهدوا في تخليص ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات.

أما واجبات الولاة ولاة الأمور فهي أن يقوموا بالواجب عليهم نحو شعبهم وينصحوهم ويخدموهم ويقوموا بكل ما فيه مصلحة المسلمين وفائدتهم.

وإن أكبر أمانة وأعظمها في عنق المحاكم الشرعية فعليهم النظر في شؤون العباد بما شرع الله لنا في كتابه من شرائع وبين لنا من حجج وأقام لنا من محجة قال تعالى: **{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ}** ١٤ وقال تعالى: **{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}** ١٥ وقال: **{فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا**

---

٨ سورة التوبة آية 105.
٩ المصحف والسيف (80 ، 81).
١٠ سورة البقرة آية (44).
١١ سورة الأنفال آية (17).
١٢ سورة النساء آية (116).
١٣ المصحف والسيف (102).
١٤ سورة الحج آية (41).
١٥ سورة المائدة آية (44، 47، 45).

فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} ١٦ هذه هي الحقيقة لأن شريعة الله لا ظلم فيها وهي المحجة، ومن اعتصم بها نجا، ومن شذ عنها هلك.

فيجب على ولاة الشريعة أن يجتهدوا في أداء الواجب، ويسهروا على مصالح الناس وينظروا في خصوماتهم بروح العدل والإنصاف، وعلى الشعب أن يمتثل لأمر الله فمن حكم له حمد الله ومن حكم عليه حمده، الأول يحمده لأخذ حقه، والثاني يحمده لأنه عصمه من أخذ حق غيره.

وأوصى الشعب أن يقلل من الخصومات والمنافسات لأن الخصومات والمنافسات تؤذي الحكومة والمحاكم الشرعية وكثرتها توجد اختلافاً في صفوف الأمة وإن إنساناً تكثر مطالبه ومرافعاته، وإزعجاج حكامه وعلمائه لا لحق بَيّن، وإنما به نزغة من نزغات الشيطان، والشيطان يسعى للتفرقة فعلينا ألا نساعده ولا نتركه يفرق بين المسلمين.

إن من الناس من يصيح "أنا مظلوم" وإذا بحثت ظلامته التي يدعيها لا تجد فيها من الحق شيئاً، لهذا أوصيكم بالتناصح فيما بينكم ونهي أمثال هذا عن ذلك.

وأوصيكم بالتحاب فإنكم جيران بيت الله الحرام، وبلادكم هذه تتضاعف فيها الحسنات كما تتضاعف السيئات وإن كل إنسان فيكم في خاطره شيء يبينه لحكومته وحكومته لا تتأخر عن سماع ما عنده وإن بابي مفتوح لكل واحد"١٧.

ويقول في كلمة له: "يجب على الإنسان أن يعرف مصلحة نفسه إذا عرف حقيقة دينه والأمر الذي يوفق بين دينه وراحة نفسه هو الشرف، والذي ليس له شرف ولو أعطي من هذه الدنيا ما أعطي إذا لم يوفق إلى ذلك فآخرته الخزي والعياذ بالله ونعمته الدنيوية وبال عليه... وواجب على من تولى أمر المسلمين أن يكون مصلحاً لأنه إذا صلح الراعي صلحت الرعية، والراعي كالمطر أحياناً يكون خيراً على رعيته وأحياناً يكون بلاءً ومضرة، ولا يصلح الراعي إلا إذا اتبع كتاب الله وسنة رسوله والإمام والأمير حتى والي البيت يجب عليه أن يعلم أنه راع وكل راع مسؤول عن رعيته، ويجب أن يفعل معهم ما يجب أن يفعلوا معه، لأن النفوس لا يمكن أن توافق على غير ما تحب، والدين يحتم عليك أن تحب من أحب الله ولو كان من أعدائك، وأن تبغض من يحارب الله ولو كان من أصدقائك وأحبائك وهذه هي المحجة البيضاء إن شاء الله ويجب على المسلمين أن ينظروا إلى أنفسهم ويتفقدوا حالتهم، وكان بعض الصالحين إذا ركب دابته وشعر منها تغيراً يقول "ما غير دابتي هذه إلا عملي" ١٨، ويجب على المسلمين التناصح بالخير ما أمكن، والله سبحانه وتعالى إذا علم من شخص نزاهة يشمله بعفوه ومغفرته، ويجب أن نجعل صفحتنا بيضاء نقية وأن نغار على بعضنا البعض فإذا عرف أحدنا شيئاً من معايب أخيه يجب أن يناصحه قبل كل شيء فإذا عجز عنه يسأل الله له الخير، ولا يشنع عليه، وهذه الأمور كلها مبنية على مكارم الأخلاق"١٩.

وأبرق لولي عهده برقية تضمنت نصائح جامعة ومنهجاً سياسياً وإصلاحياً تدل على تدين صادق، ونظرة بعيدة للأمور، ووعي بأمر الملك وما يصلحه. جاء فيها: "... تفهم أننا نحب الناس جميعاً، ما نعز أحداً، ولا نذل أحداً، وإنما المعزُّ المذل هو الله سبحانه وتعالى، ومن التجأ إليه نجا، ومن اعتز بغيره عياذاً بالله وقع وهلك.

موقفك اليوم غير موقفك بالأمس وينبغي أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور:

أولاً: نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك، وأن يكون ديدنك إعلاء كلمة التوحيد ونصرة دين الله. وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتاً خاصة لعبادة الله والتفرغ بين يديه تعبد الله في الرخاء وتحمده في الشدة وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك كله على برهان وبصيرة في الأمر، وصدق في العزيمة ولا يصلح مع الله سبحانه وتعالى إلا الصدق وإلا العمل الخفي بين المرء وربه.

ثانياً: عليك أن تجد وتجتهد في النظر في شؤون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سراً وعلانية والعدل في المحب والمبغض وتحكيم هذه الشريعة في الدقيق والجليل والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً وينبغي ألا تأخذك في الله لومة لائم.

ثالثاً: عليك أن تنظر في أمر المسلمين عامة وفي أمر أسرتك خاصة، أجعل كبيرهم والداً، ومتوسطهم أخاً، وصغيرهم ولداً، وهِنْ نفسك لرضاهم، وامح زلتهم، وأقل عثرتهم، وانصح لهم، واقض لوازمهم بقدر إمكانك، فإذا فهمت وصيتي هذه، ولازمت الصدق والإخلاص في العمل فأبشر بالخير، وأوصيك بعلماء المسلمين خيراً.

احرص على توقيرهم، ومجالستهم وأخذ نصيحتهم.

واحرص على تعميم العلم، لأن الناس ليسوا بشيء إلا بالله ثم بالعلم ومعرفة هذه العقيدة. احفظ الله يحفظك.."٢٠ .

ومن أقواله رحمه الله: "كل أمة تريد أن تنهض، لابد لكل فرد فيها من أن يقوم بواجبات

---

١٦ سورة النساء آية 65.

١٧ المصحف والسيف (104 - 105).

١٨ هذا النص ، وأمثاله ، وورده رحمه الله تدل على صلته بكتب الرقائق ومداواة النفوس وهو أمر يدل على صدق التدين وسمو النفس.

١٩ المصحف والسيف (108 - 109).

٢٠ المصحف والسيف (192).

ثلاثة:
أولها: واجباته نحو الله والدين.
وثانيها: واجباته في حفظ أمجاد أجداده وبلاده.
وثالثها: واجباته نحو شرفه الشّخصي".
وقال: أنا قوي بالله تعالى ثم بشعبي، وشعبي كلهم: كتاب الله في رقابهم وسيوفهم بأيديهم، يناضلون ويكافحون في سبيل الله. ولست أدعي أنهم أقوياء بعَدَدهم أو عُدَدهم ولكنهم أقوياء إن شاء الله بإيمانهم"[٢١].
العنصر الخامس عشر: متابعة ولاته والنصفة منهم
كان الملك عبد العزيز رحمه الله يدرك أهمية صلاح موظفي الدولة وأن كثيراً من الفساد إنما يدب في الدول بسبب هذه الشريحة ولهذا كان يتعهدها دائماً بالتوجيه والتقويم والتأديب عند الحاجة.
يقول موجهاً أول دفعة من خريجي المعهد العلمي السعودي: "أنتم أول ثمرة من غرسنا... فاعرفوا قدر العلم واعملوا به لأن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر لقد بعث الله صفوة الخلق في هذه البلاد، ونزل عليه جبريل بقرآن عربي غير ذي عوج فلنعرف قدر هذا ونحتفظ بديننا، وعربيتنا ويجب أن نحبهما حباً جماً"[٢٢].
ويؤكد في المؤتمر الوطني على المتابعة فيقول: "... أنتم المسؤولون عند الله ثم عندي، وعند الأمة فيجب أن تقدروا هذه المهمة حق قدرها وتعملوا لها بما فيه النفع"[٢٣].
وأمام عدد من كبار موظفي الدولة يقول: "... وثقوا بأننا سنتولى أمر التفتيش عن ذلك بأنفسنا، ونقسم بالله أننا سنهاجمكم على حين غرة، فإذا رأيت أحدكم حاد عن الطريق السوي وقام بأعمال تلزم إدانته بدأنا بإدانة رئيسه ثم بإدانة ذلك الشخص بدون هوادة ولا شفقة، وأعلمكم بأن الجزاء والقصاص لن يكون إلا صارماً"[٢٤].
يقول كشك: "ومعروف تحذيره لأولاده ومعاونيه من سيطرة الخدم، وضربه المثل بدولة عمه عبد الله بن فيصل الذي أساء خدمه معاملة الناس فانفضوا من حوله، وكتب إلى صهره السديري: وتدري الخدام إذا صار لهم مدخل بالأمر دوروا مصالحهم وعفاناتهم وهذا كله شيء بطال"[٢٥].
ويحث الناس على مساعدته على ضبط ولاته ومتابعتهم ومنع أي تجاوزات منهم، فيبث الإعلان التالي بين الناس: "من عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن سعود إلى شعب الجزيرة العربية على كل فرد من رعيتنا يحس أن ظلماً وقع عليه أن يتقدم إلينا بالشكوى، وعلى كل من يتقدم بالشكوى أن يبعث بها بطريق البرق أو البريد المجاني على نفقتنا وعلى كل موظف بالبريد أو البرق أن يتقبل الشكاوى من رعيتنا ولو كانت موجهة ضد أولادي أو أحفادي أو أهل بيتي.
وليعلم كل موظف يحاول أن يثني أحد أفراد الرعية عن تقديم شكواه مهما تكن قيمتها، أو يحاول التأثير عليه ليخفف من لهجتها أننا سنوقع عليه العقاب الشديد لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم، ولا أريد أن يحملني الله وزر ظلم أحد أو عدم نجدة مظلوم أو استخلاص حق مهضوم، ألا قد بلغت اللهم فاشهد".
بل إن الأمر يتجاوز مجرد الإعلان يقول الزركلي: "اتصل بالملك عبد العزيز أن برقية شكوى تأخر وصولها إليه أو وصلت مقتضبة خوفاً من نفوذ المشكو منه فعاقب المسؤول، وأصدر الإرادة الملكية الآتية:
كل شكاية ترفع لنا عن طريق البرق أو البريد من أي شخص كان يجب أن ترسل لنا بنصها، ولا يجوز تأخيرها ولا إخبار المشتكى منه سواء أكان أميراً أو وزيراً أو أدنى أو أكبر من ذلك"[٢٦].
ويسهل أمر وصول الشكاوي إليه فيعلن الديوان العالي:
"إن صاحب الجلالة الملك يعلن للناس كافة، أن من كانت به ظلامة على كائن من كان موظفاً أو غيره كبيراً أو صغيراً ثم يخفي ظلامته فإنما إثمه على نفسه وأن من كانت له شكاية فقد وضع على باب دار الحكومة صندوق للشكايات مفتاحه لدى جلالة الملك فليضع صاحب الشكاية شكايته في ذلك الصندوق وليثق الجميع أنه لا يمكن أن يلحق المشتكي أي أذى بسبب شكايته المحقة من أي موظف كان.."[٢٧].
بل وتصل المتابعة إلى حد المسآله فيما يتعلق بالسلوك العام للمسؤول خشية فشو ذلك السلوك غير السوي بين طبقات المجتمع. كتب لأحد المسؤولين: "بلغنا أنكم مرسلين خوياكم ينشدون لكم صقراً من الكويت فتعجبنا من ذلك فهل الحجاز وبلادنا كلها ما أنتم واجدين فيها

---

٢١ الوجيز (78).
٢٢ الوجيز (332).
٢٣ المصحف والسيف (69).
٢٤ المصحف والسيف (53).
٢٥ السعوديون والحل الإسلامي (34).
٢٦ الوجيز (187 - 188).
٢٧ المصحف والسيف (311).

شيء؟ أو قصدكم تفتحون باباً للناس"٢٨.
وتؤدي هذه المتابعة دورها تاماً في نفوس العاملين يقول زيدان: "وأغرى المزارعين يكتب لهم برقية إلى جلالة الملك عبد العزيز الموجود في الخرج يشرحون الوضع وقد كتب فيها "الزيدان حاجز مكينة في المخزن" وكما تقول العامة "يا غافل لك الله" فمن يطيق غضب عبد العزيز هل أطيقه أنا المسكين وأدركتني رحمة الله بالمصادفة فقد كان أحمد سعيد العربي المصري السوداني الذي كان ينقل أخبار الراديو إلى جلالة الملك عبد العزيز والمصادفة قادت أحمد سعيد إلى الديوان فرأى الشكوى سأله نائب رئيس الديوان فقد كان عبد الله بن عثمان غائباً يومها فقال أحمد سعيد: زيدان لا علاقة له بذلك أرجوك أخر الشكوى لا تقدمها إلا بعد العصر سأذهب الآن ليكون الحل وأخبرني أحمد سعيد مسرعاً وما كدت أسمع الخبر أخاف الغضب أرهب التأديب حتى ناديت المهندس واسمه حبيب ... فأسرعت معه نهدم الباب نخرج الماكينة نحملها على اللوري يذهب إلى مسحة وما أسرع ما ركبها وما أسرع ما تدفق الماء ولم نكد نصلي الظهر حتى تدفقت مياه سمحة..." ٢٩ ورحم الله الملك عبد العزيز فقد كان شعاره دائماً الحزم أبو الضفرات.. وكان الضفر حليفه دائماً.
العنصر السادس عشر: القبول لدى الناس والقدرة على الجذب
هذا الوصف أمر مستفيض عن الملك عبد العزيز رحمه الله
يقول الزركلي: "الملك عبد العزيز لا يلقي القول جزافاً وقد سمع مناسبات متعددة يذكر أنه لا يرى نفسه أكثر من "أب" لأسرة كبيرة - هي شعبه - وأنه مسؤول عن هذه الأسرة أمام الله.
وإذا عرفنا من سيرته في الأيام العصيبة... أنه كان يبادر إلى ما في خزانته الخاصة وخزائن الدولة من مال فيأمر بالإنفاق منه على إطعام القبائل المجدبة أرضها وعلى الأفران تمون بالدقيق لتوزيع العيش (الخبز) على أهل المدن مجاناً لم نشك في أنه كان يعني ما يقول من أنه "أب" لأسرة...
كان عبد العزيز يصغي إلى الكبير والصغير من شعبه يستمع إلى أحاديثهم، ويشارك المسرور منهم في سروره، ويتوجع لألم المحزون، فينسون أنهم بين يدي ملك.. يتمتع بحقوق السيادة.. ولا يشعرون إلا بأنهم بين يدي أب طالما قال.. وبرهن على القول بالفعل الكبير منكم أخ لي والصغير من أبنائي.
والذين كانوا يخاطبون الملك بلقبه الرسمي، إنما هم الأقلون عدداً في رعيته، أما السواد الأعظم فكان يدعوه بأحب النعوت إليه: يا طويل العمر، أو: يا أبا تركي وبعضهم ينادونه باسمه مجرداً من النعوت والألقاب. يا عبد العزيز ويجيبهم مبتسماً أو مصغياً ولا يراهم قد خرجوا عن حدود الأدب معه، ذلك لأنه في طويته لم يكن يعبأ بالألقاب فضلاً عن كراهيته للملق والتكلف واصطناع التأدب.
فإذا قلنا إن الملك عبد العزيز كان "ديمقراطياً" في جبلته التي فطر عليها فكل خلق فيه، وكل خبر عنه يؤيد هذا القول. لقد عاش وهو يرعى أفراد شعبه من خاصة وعامة رعاية الأب أبناءه، ويراهم أسرته التي هو كبيرها وعليه أن يعولها قبل أن تبايعه بالملك وبعد البيعة"٣٠.
ويقول الريحاني وهو يصف أول لقائه للملك عبد العزيز: "... وكانت المشاهدة الأولى على الرمل تحت السماء والنجوم، وفي نور النيران المتقدة حولنا، ألفيته رجلاً لا يمتاز ظاهراً بغير طوله، وكان يلبس ثوباً أبيض، وعباءة بنية وعقالاً مقصباً فوق كوفية من القطن حمراء.
أين أبهة الملك، وفخفخة السلطنة إنك لا تجدها في نجد وسلطانها وإن أول ما يملكك منه ابتسامة هي مغناطيس القلوب، لست أدري كيف حييته وأنا في دهشة وابتهاج من تلك المفاجأة الكبيرة.
ويصف شعوره نحو الملك عبد العزيز فيقول: "ها قد قابلت أمراء العرب كلهم فما وجدت فيهم أكبر من هذا الرجل، لست مجازفاً أو مبالغاً فيما أقول فهو حقاً كبير، كبير في مصافحته، وفي ابتسامته، وفي كلامه، وفي نظراته وفي ضربه الأرض بعصاه، يفصح في أول جلسة عن فكره، ولا يخشى أحداً من الناس بل يُفْشِي سره، وما أشرف السر، سر رجل يعرف نفسه، ويثق بعد الله بنفسه "حنا العرب" إن الرجل فيه أكبر من السلطان، وقد ساد قومه ولاشك بالمكارم لا بالألقاب جئت ابن سعود والقلب فارغ من البغض ومن الحب كما قلت له فلا رأي الإنكليز، ولا رأي الحجاز، ولا الثناء، ولا المطاعن أثرت فيّ وها قد ملأ القلب ملأه حباً في أول جلسة جلسناها إني سعيد لأني زرت ابن سعود بعد أن زرتهم كلهم - ملوك العرب - هو حقاً مسك الختام".
ويقول أيضاً: "إذا ضرب الأرض بعصاه مرة يلمس القلب منك عشر مرات" ٣١ ومن أقوال الملك عبد العزيز التي يجسد فيها قوة التلاحم بينه وبين شعبه والأسس المتينة التي قامت عليها هذه العلاقة.
قوله: "يسرني دائماً الاجتماع بكم، والتحدث إليكم لما في الاجتماع من فوائد ولأن في

---

٢٨ السعوديون والحل الإسلامي (62).
٢٩ ذكريات العهود الثلاثة (232).
٣٠ الوجيز (223، 224).
٣١ ملوك العرب (522، 524، 525، 534).

الاجتماع أكبر المصالح إلا أني لا أود التكليف على الناس وتعطيلهم عن أشغالهم لما في ذلك من ضرر، وإن أشد ما يؤلمني ما كان فيه أقل ضرر على شعبي وبلادي فإذا كلفنا عليكم اليوم فلا نقصد بهذا إلا التناصح والنظر فيما فيه مصلحة الأمة والبلاد... إننا نعرف مبلغ تمسك شعبنا بنا وقد أوقفنا أنفسنا للدفاع عنه بأنفسنا وأولادنا وأموالنا، فلا يرى منا إلا كل ما يسر الخاطر والإخلاص يدعونا أن نبين لأمتنا ما عندنا وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله..."٣٢.

ويقول في كلمة له: "رأست قومي بعد مصاعب طويلة ولا فخر في ذلك وتسير الآن ورائي جيوش جرارة لا تقل عن أربعمائة ألف مقاتل إن بكيت بكوا، وإن فرحت فرحوا، وإن أمرت نزلوا عند إرادتي وأمري، وإن نهيت انتهوا، وهؤلاء هم جنود التوحيد، "إخوان من أطاع الله" يقاتلون ويجاهدون في سبيل الله ولا يريدون من ذلك إلا رضا الباري جل وعلا، وإن هذه القوة موقوفة لتأييد الشريعة الإسلامية، ونصرة في الإسلام في الديار التي ولاني الله أمرها أعادي من عادى الله ورسوله، وأصالح من لا يعادينا ومن لا يناوئنا بسوء"٣٣.

وإني والله - وأنا أقرأ هذا النص وليس في كلام ولا فعل الملك عبد العزيز ما يعارضه - لأعجب أشد العجب كيف يجرؤ المعجبون - بأبي خلدون ساطع الحصري - ويقول أحدهم، إن دعاة القومية العربية من أولهم إلى آخرهم كانوا لعبد العزيز وبه ومنه!!!.

بل يصل به الأمر إلى القول - في كلام عجيب متناقض - : "وعن حكام الأقاليم يذكر ساطع الحصري - أبو خلدون يرحمه الله - أنه ويعني "اليوسف" حاكم دمشق، "والشهابي" حاكم لبنان أو هو الأمير، و"الجزار" حاكم عكا، قد اجتمعوا في عكا يخططون لثورة ضد السلطان يفصلون فيها الشام عن الأناضول، ثم يفصلون الشام قطعة قطعة يلبسها الواحد منهم يقول ساطع الحصري: "لقد اجتمع هؤلاء ولكنهم تفرقوا سريعاً لأن قبائل عربية زحفت من نجد على الشام عن طريق بادية الشام، فإذا بهؤلاء الزعماء يرجعون إلى عواصمهم وهم يقولون "الوهابية الوهابية"".

إن ساطع الحصري يورد هذا الأمر بأن آل سعود وبعقيدة السلف هم كانوا قوميين عرباً!!! وأنقذوا الدولة العثمانية من الثورة الشامية، وعاش ساطع الحصري حتى كانت الشام المعول الأول الذي هدم الدولة العثمانية، وكان ساطع الحصري فرحاً بذلك لأنه قومي، ولو عاش إلى الآن لترح من ذلك لأنه ليس إقليمياً" ٣٤ سبحان الله إن الأسرة السعودية في أدوارها الثلاثة ما بنت دعوتها، ولا أقامت علاقاتها، ولا وحدت مجتمعاً قبلياً ممزقاً ولا اشتد ساعدها واستوى بنيانها إلا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم القائل: "يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان: رجل بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب"٣٥.

وعن شخصية الملك عبد العزيز رحمه الله المقبولة المؤثرة تحدثت تقارير غربية جاء فيها:

- إن كل الذين قابلتهم من الذين أتيحت لهم الفرصة للاتصال بابن سعود عبروا عن تأثرهم البالغ به، وقد أخبرني مرة الصحفي الأمريكي "وليم ث إيلي" أن ابن سعود أحد العظماء القلائل الذين قابلهم.

- وفي تقرير آخر: هو أهم عنصر في العالم العربي اليوم، ويقول العقاد - وكان في بعثة الشرف المرافقة للملك عبد العزيز في زيارته لمصر عام 1946م -:

أسد العرين يخوض غيل الماء	يا بحر راضك قاهر الصحراء
لم يقترن بالبحر عيد جلوسه	إلا لعمر زاخر ونماء
يوم من البشرى يردد ذكره	ركب السنين وجيرة البيداء٣٦

والتقى الملك عبد العزيز مع الرئيس الأمريكي روزفلت سنة 1364هـ وبعد أن عاد روزفلت إلى واشنطن أدلى بتصريح رسمي جاء فيه: "... فقد وعيت... عن مسألة الجزيرة العربية تلك المشكلة بحذافيرها مشكلة المسلمين ومشكلة اليهود، وعيت عنها في حديث دام خمس دقائق مع ابن سعود أكثر مما كنت أستطيع معرفته بتبادل ثلاثين أو أربعين رسالة".

وعلقت مجلة "تايم" الأمريكية على هذه المقابلة فقالت: "لعل الكثيرين دهشوا لاجتماع هاتين الشخصيتين المختلفتين النشأة والتربية، ولكن الواقع أن مقابلة الرئيس الأمريكي الذي نشأ في هايدبارك، ودرس في جامعتي جرتون، وهارفارد، وعاهل بلاد العرب الذي لم يدرس غير القرآن ولم ير إلا الصحراء المحيطة به من كل جانب، هذه المقابلة كانت ناجحة إلى حد بعيد..".

ويقول "هو بكنز" الرفيق الملازم لروزفلت: "... وإني على يقين من أن الرئيس لم يكن يتوقع أن يرى في ابن سعود الذي طلب مقابلته ما رآه فيه. فهو رجل ذو مهابة خارقة، وقوة عظيمة ولد جندياً وقضى حياته كلها في خوض المعارك التي تلذّ له ولكل أتباعه الكارهين لليهود.

---

٣٢ المصحف والسيف (111).

٣٣ المصحف والسيف (85).

٣٤ أرى لزاماً لتشاركني العجب والحزن في نفس الوقت قراءة "الإسلام والحضارة الغربية"، و"فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام".

٣٥ صحيح الجامع الصغير وزيادته 271/6 رقم الحديث 7744.

٣٦ السعوديون والحل الإسلامي (44).

وهو عربي من أوله إلى آخره وفي كل وقت".

ويقول عبد الرحمن عزام بعد وفاة الملك عبد العزيز رحمه الله: "... عرفته منذ ثلاثين سنة هو، هو الرجل الذي يملأ سمع الدنيا وبصرها. كان متعدد الجوانب كامل الرجولة، لا أعرف أن أحداً التقى به من خصومه أو مواليه إلا أثر فيه بشخصيته التي لم يجد التاريخ إلا شذوذاً بمثلها يعطي كل ما يملك من القليل، ويعطي كل ما بيده من الكثير، لا يعرف المن والأذى... لم يكن يملك جيشاً ولا مالاً ولا سلطاناً يساوي شيئاً مما كان لشخصه في النفوس في العالم الجديد والقديد فهو بهذا الاعتبار عربي لم تعرف الجزيرة منذ أيام عمر رضي الله عنه له مثيلاً وسيبقى خالداً...، عاش أمراء جزيرة العرب وشيوخها الذين استولى على ملكهم أعزاء في كنفه تحميهم كلمة التوحيد، وتصون حقوقهم تلك الروح التي لم يجد الزمان بمثلها روح عبد العزيز السامية وعقله الكبير وحلمه وتواضعه وخوفه من الله سبحانه وتعالى.

ويقول عن لقاء الملك عبد العزيز بروزفلت: كان روزفلت طاغية يصرف الأمم ويملك كنوز الأرض وقع فريسة لليهودية العالمية سنين طويلة يتصرف في شؤون العرب وفلسطين وفق أهواء الصهيونية العالمية حتى التقى بابن سعود على باخرة في الإسماعيلية بقناة السويس فحدثه ثم شد يده وعاهده على ألا يعمل في حياته ضد المصلحة العربية وأنه لن يعمل عملاً قبل مشورة العرب والتقيت معه بعد ذلك بيوم في أوبرج الفيوم، فأخبرني بما كان بينه وبين روزفلت، وما ظننت أن روزفلت يصدق حتى تجلت لي الأمور في أمريكا بعد ذلك بسنين وعلمت أن روزفلت خرج من لقائه لعبد العزيز بن سعود وهو شخص آخر بالنسبة لشعوره وفكره نحو العرب، وقد يكون من سوء حظ العرب أن روزفلت لم يعش بعد الحرب...

ولم يكن عبد العزيز ابن سعود وقتئذ يملك الجيوش ولا الأموال ولا فاض على بلاده زيت الجزيرة ولكن شخصية عبد العزيز قبل كل شيء هي التي جعلت من مثل روزفلت وتشرشل وحتى هتلر قبل ذلك وموسوليني طلاباً لوده فخورين بالصلات التي يقيمونها معه.

ولا أعرف أجنبياً في أوربا أو أمريكا سياسياً أو عسكرياً أو تاجراً أو صحفياً قابل عبد العزيز بن سعود ولم يترك في نفسه أثراً باقياً على مر الأيام.

استلم ملكاً ضائعاً فجمعه، وبلاداً خربة فعمرها، وأمنا مباحاً فأقره وشعباً جائعاً ففاض بين يديه الرزق فهو ليس رجلاً عظيماً فحسب ولكنه رجل مبارك كذلك فقد كان ما بينه وبين الله عامراً"[٣٧].

وأخيراً هذا الشاعر الفذ محمد بن عبد الله بن عثيمين - الذي سجل كثيراً من أوصاف الملك عبد العزيز وأيامه، وذب عنه ودعا إلى الانضواء تحت لوائه - رحمهما الله جميعاً يشيد ببعض صفات الملك عبد العزيز فيقول:

رعى الدين والدنيا رعاية محسن	وقام بأعباء الخلافة كاهلُه
وأرضى بني الإسلام قولاً وسيرة	فذو الظلم أرداه وذو اليتم كافله
وجدد منهاج الهدى بعدما عفا	وعزّ به الشرعُ الشريفُ وحاملُه
قصارى بني الدنيا دوامُ حياته	عسى الله يحييه وتعلو منازله
فكم كنز معروف أثار ومفخر	أشاد ومجد ليس تحصى فضائله
قليل التشكي والتمني وإنما	إذا هم لم تسدد عليه مداخله
خفي مُدبٍ الكيد يقظان لم يكن	به غفلة لكنّ عمداً تغافلُه
ولا طالبٌ أمراً سوى ما أفاده	به عزمه أو سيفُه أو عواملُه
وما نال هذا الملك حتى تقصدّت	صدور عواليه وفلت مناصلُه
وأنعل أيدي الجرو هام عدائه	وزلزلت الأرض البعيد قنابلُه
وما زاده تيه الخلافة قسوة	نعم زاد عفواً حين زاد تطاوله
من القوم بسامين والوقتُ أكدر	من النقع وهابين والجدبُ شامله
علينا لك الرحمن أوجب طاعةً	بنصٍ وبرهانٍ تلوح دلائله
فقال أطيعوا الله ثم رسوله	وذا الأمر يدريه الذي هو عاقله
وقال رسول الله سمعاً وطاعة	لذي أمركم لو شطّ في الحكم عامِلُه
إليكم بني الإسلام شرقاً ومغرباً	نصيحة من تهدى إليكم رسائلُه
هلموا إلى داعي الهدى وتعاونوا	على البر والتقوى فأنتم أماثله
وقوموا فرادى ثم مثنى وفكروا	تروا أن نصحي لا اغتشاش يداخله
بأنّ إمام المسلمين ابن فيصل	هو القائم الهادي بما هو فاصله
فقد كان في نجد قبيل ظهوره	من الهرج[٣٨] ما يبكي العيون تفاصله
تهارش هذا الناس في كل بلدة	ومن يتعد السور فالذئب آكله
فما بين مسلوب وما بين سالب	وآخر مقتول وهذاك قاتله
فأبدلكم ربي من الفقر دولة	وبالذُّلِ عزاً بزّ خصماً يناصله
بيمن إمام أنتم في ظلاله	يدافع عنكم رأيه وذوا بلُه
به الله أعطانا حياة جديدة	رفهنا بها من ضنك بئس نطاوله

---

٣٧ شبه الجزيرة (1067 - 1068 - 1163 - 1165 - 1167).

٣٨ الهرج : الاختلاف والقتل.

إليك أمير المؤمنين زجرتها تراقى بها بعد السهوب جراوله
إذا ما دنت غني الرديف بذكره فزفت زفيف الرأل فاجاه خاتله
ومازلت أدعو الله يبقيك سالماً وأن بعادي عنك تطوى مراحله
وأنشد بيتاً قاله بعض من مضى وليس يموتُ الشعر لو مات قائله
إذا ظفرت منك العيون بنظرة أثاب بها معي المطي وهازله
فأقسم لا أنفك ما عشت شاكراً لنعماك ما غنت سحيراً بلابله
بسائرة تزهو بمدحك في الورى ويصغى لها قس الكلام وباقله
ويحدو بها الساري فيطرب للسرى ويشدوا بها في كل صقع أفاضله
وثن إلهي بالصلاة مسلماً على خير مبعوث إلى من تراسله
وأصحابه الغر الكرام وآله كذا ما بدا نجم وما غاب أفله[٣٩]

فهرس المصادر والمراجع

1 - أحجار على رقعة الشطرنج.
لوليام غاي كار ترجمة سعيد جزائرلي مراجعة وتحرير م بدوي ط 1973م.

2 - الأخوة الزائفة "القصة المذهلة للمكائد والدبلوماسية الخبيثة لإخضاع البشرية والسيطرة عليها.

رجاك تنى "عضو مجلس الشيوخ الأمريكي، ترجمة أحمد اليازوري، نشر مؤسسة الرسالة بيروت ط2 - 1403هـ.

3 - أسرار إسرائيل وحقيقتها "عشرة كتب تصفها وتفضح أحوالها وسياستها ومستقبلها
إصدار: مكتب عمر أبو النصر بيروت.

4 - إسرائيل عام "2000" تصورات إسرائيلية.
نشر: دار الجليل للنشر، عمان ط1 - 1986م.

5 - الإسلام والحضارة الغربية
د/ محمد محمد حسين - نشر مؤسسة الرسالة بيروت ط8.

6 - أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديثة.
د. محمد بن أحمد العقيلي طبع دار العلم للطباعة والنشر جدة ط1 - 1412هـ.

7 - إيللي كوهين من جديد.
لمحمد جلال كشك ط1 - 1968م.

8 - الإيمان والحياة.
د. يوسف القرضاوي، نشر الدار السعودية للنشر والتوزيع ط1 - 1389هـ.

9 - بروتوكلات حكماء صهيون
ترجمة محمد خليفة التونسي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت ط5 - 1400هـ.

10 - بعثة إلى نجد.
تأليف سانت جون فيلبي، ترجمة وتعليق د. عبد الله الصالح العثيمين نشر مكتبة العبيكان الرياض ط1 - 1418هـ.

11 - تاج العروس من جواهر القاموس
للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، مراجعة مصطفى حجازي 1406هـ.

12 - تاريخ الدولة العلية العثمانية
محمد فريد بك المحامي، تحقيق د. إحسان حقي نشر دار النفائس بيروت ط6، 1408هـ.

13 - تاريخ المملكة العربية السعودية
د. عبد الله الصالح العثيمين ط8 ، 1418هـ.

14 - تاريخ نجد الحديث، وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود.
أمين الريحاني ، طبع دار الجيل بيروت ط6 ، 1988م.

15 - التحدي الصهيوني ، (أضواء على إسرائيل).
لجاك ومال وماري لوروا، تعريب نزيه الحكيم، نشر دار العلم للملايين، دار الآداب ط 1، 1968م.

16 - التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي.
تأليف عبد القادر عوده، طبع دار الكتاب العربي بيروت.

---

[٣٩] العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين 240.

17 - التفسير الإسلامي للتاريخ
عماد الدين خليل، طبع دار العلم للملايين بيروت ط2، 1978م.
18 - التلمود "تاريخه وتعاليمه"
لظفر الإسلام خان، نشر دار النفائس، بيروت ط2، 1972م.
19 - جذور البلاء
لعبد الله التل، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق ط3 - 1408هـ.
20 - جزيرة العرب في القرن العشرين
لحافظ وهبة ط3، 1375هـ - 1956م.
21 - حكومة العالم الخفية

لشيريب سبيريدوفيتش، ترجمة مأمون سعيد، تحرير وتقديم أحمد راتب عرموش نشر دار النفائس بيروت ط1، 1394هـ.

22 - الدبلوماسية والميكافيلية في العلاقات العربية الأمريكية خلال عشرين عاماً دراسة وتحليل حول كتاب "لعبة الشعوب"
د. محمد صادق، نشر العصر الحديث ط1، 1391هـ.
23 - الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث
د. إسماعيل أحمد ياغي ، نشر مكتبة العبيكان ، الرياض ط1، 1416هـ.
* ذكريات العهود الثلاثة.
محمد حسين زيدان ط1 1408هـ.
24 - الرؤية العربية لليهودية
د. مهنا يوسف حداد، نشر ذات السلاسل، الكويت ط 1409ه.
25 - السعوديون والحل الإسلامي
لمحمد جلال كشك ط3، 1402هـ.
26 - سقوط الجولان.
لخليل مصطفى، نشر دار النصر للطباعة الإسلامية، مصر.
27 - سوانح وتأملات في قيمة الزمن
تأليف د. خلدون الأحدب، نشر الدار الشامية، بيروت ط4، 1414هـ.
28 - سياسة بريطانيا في الخليج العربي
د0 فؤاد سعيد العابد، نشر ذات السلاسل الكويت.
29 - السياسة والإستراتيجية في الحربين العالميتين الأولى، والثانية.
جمال عبد الملك "ابن خلدون" نشر دار الجيل بيروت، مروي بوك شوب الخرطوم ط 1، 1988م.
30 - شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز
لخير الدين الزركلي، طبع دار العلم للملايين، بيروت ط2 - 1397هـ.
31 - صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)
تأليف محمد ناصر الألباني ط المكتب الإسلامي 1302هـ.
32 - العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين
جمع وترتيب سعد بن عبد العزيز بن رويشد، ط دار المعارف مصر.
33 - عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، وأثرها في العالم الإسلامي.
د. صالح العبود ط المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة 1408هـ.
34 - فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام.
لصالح بن عبد الله العبود، نشر وتوزيع دار طيبة، الرياض.
35 - في أصول تاريخ العرب الإسلامي.
لمحمد محمد حسن شراب، طبع دار العلم والشامية، دمشق وبيروت 1413هـ.
36 - لسان العرب.
للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر بيروت.
37 - لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم.
للأمير شكيب أرسلان، نشر دار مكتبة الحياة بيروت 1965م.
38 - ما الذي جرى في سوريا.

لمحمد حسنين هيكل، "سلسلة كتب قومية" نشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1962م.

39 - الماسونية، عقدة المولد، وعار النهاية.
لمحمود ثابت الشاذلي، نشر مكتبة وهبة القاهرة ط2.

40 - الماسونية في العراء
د. محمد علي الزغبي، ط2، 1397هـ.
41 - مجتمع الكراهية
لسعد جمعة ط4، 1989م.
42 - مجلة البعث الإسلامي
العدد (10) مجلد (12) 1388هـ - 1968م، ندوة علماء الهند.
43 - مجلة الدارة عدد1 سنة 9 - 1403هـ.
44 - مجلة الدارة عدد2 سنة 10 - 1405هـ.
45 - المسألة الشرقية "دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية"
لمحمود ثابت الشاذلي ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة 1409هـ.
46 - المسلمون وكتابة التاريخ دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ
د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، نشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي الرياض ط 2 - 1415هـ - 1995م.
47 - مشكاة المصابيح
تأليف الخطيب التبريزي، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي 1399هـ.
48 - المصحف والسيف "مجموعة من خطابات، وكلمات، ومذكرات، وأحاديث جلالة الملك عبد العزيز آل سعود".
جمع وإعداد محي الدين القابسي، ط4 - 1418هـ دار الصحراء السعودية للنشر والتوزيع.
49 - ملوك العرب.
لأمين الريحاني، طبع دار الجيل ط8.
50 - من مذكرات تركي بن محمد بن تركي الماضي "عن العلاقات السعودية اليمنية"
طبع دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة ط1 - 1417هـ.
51 - ندوات علمية حول الشريعة الإسلامية، وحقوق الإنسان في الإسلام فيما بين فريق من كبار علماء المملكة العربية السعودية وبين آخرين من كبار رجال الفكر والقانون في أوربا.
طبع دار الكتاب اللبناني، بيروت 1973م - من مطبوعات رابطة العالم الإسلامي.
52 - الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز.
لخير الدين الزركلي طبع دار العلم للملايين بيروت ط4 - 1984م.
53 - الورد المصطفى المختار من كلام الله تعالى، وكلام سيد الأبرار.
اختيار راجي عفو الغفور الودود عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود نشر شركة مكة للطباعة والنشر ط22 - 1389هـ.
54 – الوقت في حياة المسلم.
للدكتور يوسف القرضاوي، نشر مؤسسة الرسالة بيروت ط2، 1405هـ - 1984م.
55 - اليهود وراء كل جريمة.
لوليم كار، نشر دار الكتاب العربي، بيروت ط2 - 1400هـ.
56 - يومان لا يتشابهان.
لأحمد فؤاد اليماني ط1 - 1966م.